

المكتبة الخضراء للأطفال
٦١
الهدهد يمتلك تاجاً
تأليف
عبد التواب يوسف
رسوم
ماهر عبد القادر
دار المعارف

المكتبة الخضراء للأطفال



الهُدهُدُ يمتلكُ تاجاً



تأليف
عبد التواب يوسف

رسـوم
ماهر عبد القادر



دار المعارف

(١)

أحبَّ قدمَاءُ المصريينَ الهُدْهُدَ كثيـراً، وهُم الذين أطلَقوا عليْه هَذا الاسْم، الَّذى انتشرَ وَأصبحَ معْروفاً بِهِ، فِى كلِّ لغَاتِ العَالم. وَهُم الَّذِينَ اختـارُوهُ له، إِذْ يترَامَى إِلَى آذانِهِم صوتُ نَقَراتِهِ لجذُوعِ الأَشـجارِ، مُرَدِّدًا:

- هُدْ .. هُدْ ..

وَهُم عندمَا يَسْمعونهَا يطْربُونَ، ويسعَدونَ، وَيَسْتبشرون بِهَا خَيْراً، ويتَوقَّعُـونَ أَنْ تشـفَى الأُم العجوزُ مِنْ مَرَضهـا، وأَنْ تُعطيهم الأَرضُ محصُولاً وَفيرًا، كَمَا أَنَّ الكَاهنَ سـوفَ يُولِـى الولدَ الصَّغيرَ اهتمامَه، ويُعَلِّمُه لِكَىْ يُصبحَ فِى مُستقبَلِ الأيَّام كاتبٌ يجلسُ القُرْفُصَاء.

وَكانَ الغريبُ أَنْ يَسـعدَ النَّـاسُ بالهُدْهُدِ (هـادى)، بينمَا لَمْ يكنْ هُوَ سـعيدًا، ذَلكَ أَنَّهُ رغبَ فِى أَنْ يتقدَّمَ إِلىَ خِطبَةِ هَيْفَاءَ، الجميلةِ، بَلْ التَقَى بأبيهَا عَلَى غُصْنِ شـجَرةٍ وَقَـالَ لَهُ: إِنَّهُ مُعْجبٌ بِهَا، لَكِنهَا تمنَّعَتْ، لأنَّ كَثِيرينَ يُرَدِّدونَ عَلَى مَسَـامِعِهَا أُغنياتٍ عَذْبة، وَكلمَاتٍ حلـوةٍ جَعَلتها تحسُّ أَنَّ (هادى) ليَس هُوَ فَتَى أَحْلاَمها، لذلكَ باعَدَتْ مَا بينهَا وَبَيْنَهُ، الأَمرُ الذى تسبَّبَ فِى إِزْعَاجه، وَجَعلَهُ يَشعرُ بأَسَفٍ وَأَسى كَبيريْنِ.. وتوقَّفَ عَنْ بِنَاءِ عُشِّ الزَّوْجيَّة الَّذِى كانَ يَتمنَّى لَوْ أَنَّهُ يجمعُ بينهُمَا فِى الرَّبيعِ المقْبل..

وعندمَا كانَ (هادى) يتقرَّبُ إِليْهَا تَتَدلَّلُ وَتضْحَكُ، وَتَطيرُ مِنْ غصْن

لغُصْن، وَتُحاولُ أَنْ تُخْفِى نفسَــهَا عَنْه بَيْنَ أغصَانِ الشَّجَرِ، مِمَّا يَجْعَلهُ يرجعُ إلِىَ عُشّــه، وَالدُّمُوع فِى عينَيْه ..وَكثيرًا مَــا كانَ يُداعِبه الأملُ حينَ يتطلَّعُ إلىَ عينَيْهَا، وسـطَ جمْعٍ مِنَ الطّيورِ، يَلتقى فِى المسَــاءِ، وَكلُّ طائرٍ يَحْكِى عَمَّا صَادَفه فِى نَهَارِه، وكَانَتْ تسـمعُه فِى شـغَفٍ، وَتطربُ لحَدِيثِه، وَيتمنَّى هُوَ فِى قرارَةِ نَفْسه أَنْ يراهَا فِى العُشِّ مَعَهُ، وَقَـدْ رَقدتْ عَلَى البيْض، وَيرُوح هُـوَ وَيجئُ حَامِلًا لَهَا مَالَذَّ وَطاب مِنْ طعامٍ وَشَرَاب، إلِىَ أَنْ تخرُجَ أفْراخُهَما الصَّغيرةُ إلِىَ الحياَةِ .. وعندمَا تحـدَّثَ إليْهَا بِهذَا طَارتْ وَهَربت، وَاخْتفَـتْ بَيْنَ المرُوج الخَضْراءِ، حولَ نهرِ النيلِ العظيم، وَيَضيقُ (هادى) بِذلكَ، وَتَأْبَى عَليْه نفسُهُ أَنْ يَمْضِـى مِنْ وَرَائها أَوْ يُطَاردهَا، وَعندَمَا تكرَّرَ منْهُ هَذَا الحِديثُ قَالتْ لَهُ:

- أنَا لَنْ أتزوَّجَ إلاَّ مِنْ مَلِك الطُّيوُر..

إنَّنِى لَنْ أتزوَّجَ إلاَّ مِنْ طَائِرٍ يضعُ تاجاً عَلىَ رَأْسِه.

قَالَ لَهَا: إنَّنَا طُيور، وليَس لنَا أو بيننَا مُلُوك..

ردَّت: سَأجدُ لنفسِى صاحبَ تَاج!

كانَ وَاضِحًــا أَنَّ إرضَاءَهَــا أمرٌ صعْبٌ، وَأَنها تطلُــبُ مَا فوقَ قُدُراته وَإمْكَانَاته، وَأنَّها تُغَالِى فِى تقديرِ نَفسِهَا..

- أنَا لَنْ أقبلَ بغيرِ هذَا .. وَسـتَكونُ جميلاً لَوْ وُضعَ عَلَى رأسِكَ أنتَ بالذَّاتِ يا (هادى) أكْبر هُدْهُدٍ فِى مِصْرَ تاجًا..



غضبَ هَادِى غضبًا شديدًا وَقَالَ لَهَا:

- أنتِ وَاهِمَة، ولاَ تعرفينَ شـيئًا عَمَّا تتحدَّثينَ بِهِ .. وَأَنَا وَاثِقٌ مِنْ أنكِ لمْ تَرى تَاجًا مِنْ قَبْل!

- بَلْى رَأَيْتُهُ.

- أَيْنَ ؟.

- ذَاتَ مرَّةٍ بَعَثَتْ بِى أُمِّى إِلَى صَعِيد مِصْرَ فِى مُهِمَّةٍ، وَهُنَاكَ حدث أَنْ..

- رأيتُ طائرًا عَلى رَأسِهِ تَاجٌ.

- لاَ لاَ .. لقدْ رَأيتِهِ عَلى رأسِ رمسيس الثانِى َملِك مِصْر!.

قَالَ لَهَا ساخرًا:

- هَلْ تتصوَّرينَ أَنهَّ مِنَ الممكِنِ أَنْ تتزوَّجيه؟.

- لاَ، لكنَّنى بعدَ رُؤيته أَدْركَتُ أَنَّ رُؤُوسَـنا صَغيرةٌ ضَئِيلة.. ابتعدْ عَنِّى، اذْهَب، وَلا تعدْ إِلَىَّ إِلاَّ إِذا كانَ عَلَى رأسِكَ تاجٌ.

غادرهَا (هادى)، وانطلقَ لكىْ يقبعَ حزينًا باكيًا، فِى قلبِ شـجرةٍ ضَخْمةٍ، غزيرةِ الفُرُوع، كثيرةِ الأوْراقِ، ممَّا جعَلَ داخلهَا مُظلمًا، فمَا مِنْ شُـعاع نُور يَقْدر عَلَى اخْتِراقهَا .. وَأغلقَ عَيْنيْه، وقَدْ سـكنَ قلبَه حزْنٌ عَمِيق.. وَلَمْ يَفِقْ لنفسِـهِ إلاَّ عَلَى صوتِ رَمْسيس الثانِى يَصْرخ فِى قائدِ رحلةِ الصيد الَّتِى خرجُوا إِليْهَا..

رفعَ هادِى رأسَه فِى هذهِ اللّحْظةِ، وصَحَا مِنْ غفْوَته.

٢

صرخَ الملكُ رَمسيس الثانى:

- «وَا -وَاهَا»

- نَعَم يَا مَوْلَاى ..

- تعالَ هُنَا:

أقبلْ «وا - واها»، يقدِّمُ رجلًا وَيؤَخِّرُ أُخرى، وهُوَ يرتعِدُ ويرتجفُ، فَقَـدْ كانَ يعرفُ عَنْ يقينٍ أَنَّ كلمَةَ واحدةً مِـنَ الفرعَوْنِ يمكنُ أَنْ يطيرَ مَعَهَا عُنُقُهُ، ووقفَ بعيدًا عَنِ المركبَةِ الحربيَّة الَّتِى يَستقلهَا رمسيس الثانى، إِذْ خَشِىَ أَنَّ يغرسَ الرُّمْحَ فِى صَدْرِه..

ومنْ جديدٍ ارْتفعَ صوتُ رمسـيس الثانى والشَّررُ يتطايَرُ مِنْ عينْيْة، وَقدِ امْتلأ غَضَبًا:

- لقدْ ضللـتَ بِنَا الطَّرِيق، وتفرَّقَت بِنَا السُّـبلُ وَعمَّا قريبٍ تَغربُ الشمسُ، ويسودُ الظلامُ وَلَا نستطيعُ العوْدَة إِلىَ القصْر..

وَلَمْ يَفتح الرجلُ فَمَهُ بكَلمَةٍ وَاحِدَةٍ ..

غيرَ أَنَّ صوتًا وَديعًا رَقيقًا، انبعَثَ مِنْ قلبِ الشَّجرة .. كانَ يُردِّدُ:

- أَنَا أعرفُ الطَّريقَ يَا موْلَاى .. اتبعُونِى ..

صَاحَ فرعونُ:

- مَنْ أَنْتَ؟ مَنْ تكونُ؟

- أنَاَ .. الهُدْهدُ (هَادِى)..



ورفرفَ (هادى)، مِنْ حيثُ كانَ يقبعُ فِى الظَّلام، واستقرَّ مِنْ فوق المركبةِ الملكيَّة ..

نظرَ إليْهِ فرعونُ فِى استخفَافٍ، بينَما تنهَّدَ (وا -واها) وتنفَّسَ الصعَدَاء، والهُدْهُد يُضيفُ:

- إنَّنى يَا مولاَى أعرفُ كلَّ شبرٍ مِنْ هذَا الطَّرِيق، بَلْ وَأعرفُ أشْجارَه، وقممهَا الخَضْراء الشَّامخَة، وأعرفُ أينَ يَخْتبئُ قُطَّاعُ الطَّرِيق، وأعرفُ مَا قدْ نلقاهُ من الحيوانَاتِ المفْترسةِ وأينَ تَعِيش .. وسوفَ تُساعدُنَا الحُوريَّاتُ اللَّائى يَتَنقلْنَ فوقَ الأغْصان، بأجْنحةٍ بَيْضاءَ شَفَّافةٍ وَجَميلةٍ .. لا تَقْلقُوا .. إنَّكَ يَا جَلالةَ الملكِ ستعودُ ومعَكَ مُرافقُوكَ إلىَ القصرِ بسلام وَأمانٍ، وَقبلَ أنْ يشرقَ الصَّباحُ .. هد.. هد.. هد.. هد.. قَالَ الملكُ فِى حسْم وَحَزْم..

- هَيَّا .. انطلقُوا .. قُدْنَا أيُّهَا الهُدْهُدُ إلىَ الطَّرِيق الصَّحيح. لكنْ عليكَ أنْ تعرفَ أنكَ إذَا أخطأْتَ فَإنَّنِى سوفَ آمرُ بالتخلُّصِ مِنْ كُلِّ هُدْهد عَلَى أرضِ مصرَ قبلَ أنْ تغربَ شمسُ الغدِ. والآنَ، أُريدُ أنْ أعرفَ كيفَ نراكَ وأنْتَ مُحلِّقٌ مُرفرفٌ فِى هَذِه السماءِ الواسعةِ العَرِيضةِ؟

قالَ الهُدْهدُ (هادى): سوفَ تروْنَنِى جيدًا يا مَوْلاَى سَأطيرُ مِنْ فَوْقكُم تماماً، وَفِى مُحاذَاتِكُم..

تركَ الهدهدُ العربةَ الحربيَّةَ الملَكيَّة، وطارَ فى الفضاءِ، وكانَ لَوْنهُ الأبيضُ والأسودُ يحدِّدُ مسارَهُ مِنْ فَوْقهم، وَيَرونهُ بوضوحٍ كاملٍ،

حَتَّى فى ذلكَ الظلام الدَّامِس، الذِى يلُفُّ الدُّنيا فى تلك السَّاعةِ.. ومِنْ تحتهِ حَاوَلت العربةُ الملكيةُ أَنْ تُجَارِية، وَتُوَاكبُه، وتمضِى على هُدَاهُ فِى الطريِق نحوَ قصرِ الفرْعَونِ رمسـيس الثانى، ومنْ حَوْلها الحَاشية الكبيرةُ والصَّيَّادونَ الماهِرونَ ..

وكانَ الهُدْهد يهتفُ فِيهم بيَن وقتٍ وَآخرَ:

- اتَّجهُوا إلى اليَمينِ..

- هُنَا، انْعطفُوا للطَّريقِ الثانِى..

- كُونُوا شَدِيدِى الحذرِ واليقظةِ عندَ مُفترقِ الطُّرُق..

- والآنَ، عليكُم أَنْ تمضُوا فِى هذَا الطريقِ المستقيم..

وهكَذَا سارَ الرَّكْبُ مُسترشِدًا بتعليمَاتِ الهُدْهد. وكانَتْ فى مُنْتهى الدِّقةِ والوُضُوحِ، وَمَا كانَ بمقْدُورِهم أَنْ يُخَالِفُوا مَا يُشـيرُ بِهِ، وتمكَّنُوا مِنَ اخْتراقِ الصحراءِ فِى وقتٍ قصيرٍ وقياسِىٍّ، إلَى أنْ لاَحَ لَهمْ (بايلون) مِنْ بعيد، وقدْ ظهرَ فى لونِهِ الأحمرِ مَعَ إشـراقةِ شمسِ مصرَ الدافئةِ المضيئَةِ..

وَسُرَّ الفِرْعَوْنُ، لأنَّ الهُدْهُدَ قادَهم ببراعةٍ إِلَى القصْرِ.

٣

وَعندَ قصرِ (بايلون) ارْتفعَت أَصواتُ الحرسِ الملَكِى..

- هَا قَدْ عادَ الملكُ رمسيس الثانى..

سـارعَ الطهاةُ إلَـى المطابخِ الملكيَّـةِ يعدُّون وَجْبةَ إفطـارٍ للمَلِك،



وحاشِـيته وَرُفاقه مِنَ الصَّيَّادينَ، وسارعَ حرَّاسُ أبوابِ القصرِ لِفتْحِهَا لاسْتقبالِهِ، والكلُّ ينشُدُ ويُغَنى، مِمَّا أَحدثَ ضوْضَاءَ وَجَلبةً وضجةً فِى أرجَاءِ المكَان.

كانَ الهدْهُـدُ (هَادِى) سـعيدًا فِى هَذِه الرِّحْلة، وفرحًـا لأَنَّه أَنقذَ الملـكَ الذِى ضَلَّ طريقَ العودَةِ فِى صحراءَ شَاسـعَةٍ يتُوهُ فيَها الجنُّ..

كانَ الجميعُ يشـعرُ بالبهْجَـةِ، تملأُ الفضاءَ مِنْ حَوْلهـم، وَتملأُ أيضًا قُلُوبَهم..

دَخلـتِ العربـةُ الحربيةُ الملكيَّةُ مِـنْ أبوَابِ القصْرِ الواسـعةِ إلِىَ

حَدَائقـهِ الجميلةِ، وترجَّلَ منهَا الملكُ ليحْظَى بأَجْملِ استقبَالٍ، فقدْ كانَ كلُّ مَـنْ فِى القصْرِ قلقاً مُنْذُ جاءَ الليلُ، وَخيَّمَ الظلامُ، ولكنْ ها هُوَ وَمَعَه رِفَاقُهُ قدْ عادُوا بالسَّلَامَة.

٤

مَضَى فرعونُ مصرَ عندَ وُصُوله إلىَ قَصْرِهِ تجاهَ قَاعة العرشِ الكُبْرى، وَتبعهُ الجميعُ، وَتبعـهُ الهدهُد وهُوَ يتملىَّ فِى عظمَةِ مَا يَرَى: البْهوُ يزدَان بأعمدةٍ أُقيمتْ عَلَى شكل زهرَةِ اللُّوتَس، وَقدْ طُلِيَت بألْوَانٍ زَاهيةٍ بَهيجَة تدلُّ عَلَى ذوْقٍ فَنِّى رَاقٍ، والجدرَانُ حفِرت عليْهَا لوحَاتٌ بَدِيعةٌ رَائعَةٌ، لَمْ تَكُن للزينةِ فَحسْـب، بَلْ كَانت تسجِّلُ الفُتُوحاتِ العَظِيمة .. والأرضُ قَدْ فُرِشـت بأبْسِطَة حَمْراء، مِنْ تحتهَا سِجَّاد يُغطى القاعةَ بأَكملهَا، وَفى صدرِ القاعةِ وُضعَ عرشُ الملكِ رمسـيسِ، ووقفتْ فَتَاتان جَميلتـانِ فِى يَدِ كُلٍّ مِنهمَا مروحةٌ كَبيرةٌ مِنْ ريشِ النَّعَام، يُحرِّكانهَا قبلَ وصولِ رمسـيس الثانى لتكونَ التَّهويَة جَيِّدة حِين يصعدُ للمنصَّةِ ويجلسُ إلى عَرْشه .. وَعلى طُولِ الجَانبيْنِ مِنَ القاعةِ كَانت هناكَ مقَاعدُ وَكرَاسِـى، أمَامَهَا مَناضِدُ صَغيرة، بهيَّة وَجَميلـة .. وهناكَ أُخرى، مخْمليَّة، تدورُ فِى نظام بديعٍ وَأنيقٍ حولَ العرْشِ، مُخَصَّصةً للمقرَّبينَ مِنَ الحَاشِـيَة، وَإلىَ اليَمينِ مقعدٌ خَاصٌّ لكبيـرِ الكَهَنة، وَمُقابلَه فى النَّاحيةِ اليُسْرى مقعدٌ لكبيرِ الوزرَاءِ.. وهناكَ مشاعلُ بِالمئَاتِ، مُوقَدةٌ لمزيـدٍ مِنَ النُّورِ، والزِّينَة .. هِىَ قاعَـةٌ لَمْ يكنْ لَهَا فِى الدُّنيا نظيرٌ أَوْ



مَثيل.. وَفِى هذِه اللّحظةِ بالذَّاتِ شعرَ الهُدْهد أنَه قَدْ أدَّى دَوْرَهُ، وقامَ بمهمَّتِه خَيْر قيام، وَأنه كانَ بَشيرَ فرح وبهجـةٍ لِكل مَنْ فِى القاعةِ الملكيَّةِ الكَبيرة، وَرأى أنَّ عَليْه أنْ يعودَ إلَى عُشِّـه وَشَجرته، حيثُ الوِحْدَةُ، والأَحزانُ التَّى يمتلئُ بهَا قلْبُه .. التِّى كاد أَنْ ينْسَاهَا أثناءَ إرشَادِه للمَلك وَرفَاقِه فِى رحلةِ العوْدةِ مِنَ الصَّيْد .. ولمحَهُ رمسيسُ الثانِى وهُوَ يَهُّم بمغَادَرةِ المكَانِ، فأشَارَ إليْهِ قَائِلاً...

- لماذَا العجَلةُ، وكيفَ تفارقنَا بهذِه السُّرْعة؟..

لا بدَّ وَأنْ نجازيكَ خيرًا عَلَى مَا فَعلْتَ، وَمِنَ الضَّرورى مُكَافأتكَ عَلَى مَا قمتَ به، فقدْ خَدمْت مليكَ بلادِكَ خدمةً جَليلَة، لا تنْسَى ..

تعـالَ هُنَـا، واجْلسْ بِجَانِبِـى وَاطلُب مَا تشَـاءُ مِنْ مَليـكِ بلادِك المعَظَّم!

تطلَّعَ الهدهدُ للقَاعةِ، وَرَاعهُ مَا يراهُ .. كانَ المشهدُ بديعًا إِلَى درجَة لاَ يُصدقُهَـا عقلٌ، وَمَا تصوَّر الهدهدُ (هادِى) أنْ يكونَ فِى مَوْضعِه هَذَا، وَلمْ يُصدِّقْ أَنه سـيكونُ مَوْضعَ تكريم إِلَىَ هَذَا الحدِّ.. وَكانَ كلُّ مَنْ فِى القاعَةِ ينظُـرُ إليْهِ فِى إعجَاب وَتقدِيرٍ، وَهُوَ يلْقَى هَذِه الرِّعَاية الملكيَّةَ الخَاصَّة، خَاصَّة بعدَ أَنْ سمعَ كلُّ مَنْ فِى القصرِ بحكايتِهِ، وَحمدُوا لَهُ عَملَه.

سـكتَ الهُدهُد، وَلَمْ يَفْتح مِنْقارَة بكلمةٍ وَاحِـدةٍ، ولكنَّ المَلكَ عَادَ وَقَال لَهُ:

- لماذَا سَكتَّ؟ سألْتكَ عَمَّا تَطْلُبُ؟ .. هيَّا..

اطلبْ نَستجيبُ لِكلِّ مَا ترْغبُ فِيهِ ..

ترَدَّدَ الهُدهُدُ ..

عَادَ الملكُ يُشجِّعُه، وَيقُولُ لَهُ ..

- هَيَّا انْطِقْ..

- مَا أَطْلُبه يَا مولَاى يصعبُ تحقِيقُهُ.

- لاَ.. لاَ.. سوفَ أُعطيكَ مَا تشاءُ.. فلْيسْكُت كُلُّ مَنْ فِى القاعةِ.

- إِنَّ كلَّ مَا أُرِيدُهُ هُوَ تَاجٌ ..

هَتَف رمسيس الثانى: (تَاج)..

وَفتحَ الحَاضِرونَ أَفْوَاهَهم وَأعْيُنَهم فِى ذُهولٍ..

٥

سادَ السكُونُ كلَّ القاعةِ، حَتَّى ليكادُ يُسمعُ صوتُ أَقدامِ نملَةٍ تمرُّ أَمَام بَابهَا؛ لأَنَّ الجميعَ فى دَهشَةٍ..

الطَّائرُ الصَّغيرُ يريدُ لنَفْسِه تاجًا، وَكأنمَا يرغَبُ فِى أَنْ يحكمَ مملكةً عُظمى، ويتطلَّعَ إِلىَ أَن يجعلَ منهَا هِىَ الأُخرى إمبراطُوريّةً وَاسِعة الأَطرَاف، يَشيعُ فيهَا العدْلُ وَتحترمُ القَوَانينُ، ويتمتَّعُ كلُّ فردٍ فيهَا بحرِّيتةِ، وَيعيشُ مُوَاطنًا سعيدًا..

وَوسطَ هَذَا السُّكُون، سَأَله الفرعونُ ضَاحِكاً:

- هَلْ كلُّ مَا ترغبُ فيهِ أَنْ يكونَ لكَ تَاجٌ؟

- نَعَم يَا موْلَاى؟

- أَى تَاج؟ وَتَاج مَنْ؟

- أُريدُ تاجًا صغيرًا، بقدْرِ رأْسِى، أَضعُه عَلْيهَا، مُحَافظًا علَيْه، رَاعيًا لَهُ.. قَالَ رمسيسُ الثانِى، وهُوَ يُوَاصلُ الضَّحكَ..

- سيكونُ لكَ تَاج، مَادمتَ ترغبُ فِى ذلكَ، وَلاَ تريدُ شَيْئًا آخرَ..

وارتفعَ صوتُه صَائِحًا:

- آتونِى بالصَّاغة، صنّاعُ التيجَان .. وليكُن مَعهم ذهبٌ وَمُجَوْهراتٌ تكفِى لصناعةِ تَاج لِطائِرنَا الغَالِى العزيزِ الَّذى هَدانَا سواءَ السَّبيل!

كَانت «شَيْطانه»، الَّتِى يَقْتنيهَا رمسيسُ الثانى رَاقدةً عِند أَقْدَامه.. وَهِىَ ابنةٌ لملكِ الغَابة، اصْطَادهَا، وجعلَ منها أَنيسةَ وَرَفيقةً، وَاسْتأنسَهَا منذُ وقتٍ طَوِيل .. وَتحركتْ ورفعتْ رَأْسهَا وَهِىَ تتلفَّتُ يُمْنةً وَيُسْرةً، عندمَا عَلاَ صوتُ رِمسيسِ الثانِى، وهَمْهمات الحاضرينَ فِى القَاعة..

وضعَ فرعونُ يَدَه عَلَى رَأْسهَا، وَقَالَ لَهَا..

- (شيطانه)، اهْدَئِى، وارْقدِى حيثُ أنتِ..

هَلْ تُريدينَ أَنْ تُقَاتلِى طَائرنَا الصَّغِير؟!

وداعبَ رأسَهَا قليلًا قبلَ أَنْ تمتدَّ يدُه إلى فمهَا لِكَىْ تُسْكِتها، إِذْ رَاحت تَزُومُ، استهلالًا لكى تَزْأَرَ..

واسْتجابَت «شيطانه» لأمرِ مَليكهَا، بينَمَا عَادَ مَنْ بالقاعةِ إِلىَ الغناءِ والإنْشَاد، وجَاءَت بعضُ الرَّاقصَات وَبِصُحبتهنَّ عددٌ مِن المُوسِيقيين،



قَامُـوا بعزفِ مَقْطوعاتٍ بَدِيعة، جَمِيلةِ الإيقاعِ، رَقَصَت مَعَهَا الفتياتُ الجمِيلَات..

كمَاَ أقبـلَ المصَارعونَ لأدَاءِ فَقْرةٍ مُثيرة، جَذَبـت إلِيْهم الأنْظَارَ .. وكانَ كلُّ ذلـكَ للترفيةِ عَـنِ الملكِ وَمَنْ مَعَهُ فِى القاعـةِ انتظارًا لقدُوم صناعِ التيجَان.. وَقَدِ ابتهجَ الهدهُد وانْتَشَى، وَأصْبَحَ قادرًا عَلَى مُشَاركةِ هؤلاءِ مِنْ خلال تحريك قدمَيْه، راقصًا حيثُ هُوَ، وَمنْقَارة يردِّدُ..

- هُدْ .. هُدْ.. هُود هُدْ..

وَتمايلَ الجالسُونَ فِى القاعَةِ طَرَبًا...

وسـمِعَت جَلَبـةٌ وَضَجَّةٌ عِنْدَ البَـابِ، حِينَمَا أَقبلَ الإخـوةُ الثَّلاثَة مِـنْ صُنَّـاع التِّيجَان، وَمِـنْ وَرائهم جماعَـةٌ تحمِلُ صناديـقَ الذَّهب والمجوْهَراتِ، وَوُضِعَتْ مَنْضدةٌ طويلةٌ أمامَ الملكِ رمسيس الثانى، ثُمَّ وَضعَ الإخوةُ عليهَا مَفْرَشًـا أبْيَض ، وَراحُوا يُخرجونَ اللَّآلِئ، حمراءَ وزَرْقاءَ وَخَضْراءَ، وقطعًا مِنَ الذهَبِ الأصفرِ الوَارِدِ مَنْ سِـينَاء، وَألْقى عليهمَا الهدهدُ نظرَة، وقَالَ:

- لاَ.. لاَ .. لاَ أريدُ شيئًا مِنْ كُلِّ هذَا ! !

وَمِـنَ الغريبِ أنَّهُ كانَ مِـنْ بينهَا حَجرٌ كَريمٌ، أحمرُ بلوْنِ الشَّـفق فِى الصباحِ والغَسَـق فِى المسَـاءِ، لمْ يحظَ تاجٌ بمثْلِهِ، ولا حظَى حَتَّى تاجُ بلقيسَ بشـىءٍ شَبيه بِهِ، لكنَّ الهدْهُدَ لَمْ يَهْتم بِهِ، وَلاَ حَظِىَ منه بالتِفَاتَةٍ.. وقَالَ:

- مَوْلاى، إنهَا مُجَوْهراتٌ ثَمِينَةٌ، وغَاليةٌ، بلاَ مَثيلٍ .. هِىَ أشبهُ مَا تكونُ بشمسِ الأَقْصُر، وَهِىَ تُشرِق وَهِىَ تغربُ عَنْ مَعْبدَىْ: الكَرْنك، والأقصر ..

صَاح فرعَوْنُ: أَلاَ تريدُ شيئًا مِنْهَا؟

- لاَ..

قَال فرعونُ: هَاتُوا مَا هُوَ أجملُ مِنْهَا وَأَرْوعُ مَا فِى مصرَ والعَالَمِ كُلِّهِ..!!

ارتعدَ الإِخوَةُ الصَّاغَة، فَقَدْ أَتَوْا بأفضلَ مَا عِندهُمْ .. إنَّ جوهرةً وَاحِدَة منهَا يمكنُ أَنْ يبيعهَا أحدُهُم، وَيكفيهِ ثمنُهَا عُمْره كُلَّه مَدَى السِّنِين..

٦

- أرجُوكَ وأتوسَّلُ إليْكَ يَا مَوْلاى أَنْ تَسْمعُنِى.. إنَّنى إِذَا مَا وَضعْت عَلَى رَأْسِى تاجًا مِنَ الذَّهبِ وَالمجوهَراتِ، فَلَنْ أَقدرَ عَلى رَفْعِه، وَلَنْ أتمكَّنَ مِنَ «التَّفْكِيرِ»، لأَنَّ التاجَ سَيثقلُ عَلَىَّ.. وَلَنْ أَكُونَ قادرًا عَلَى المحافظَةِ عَليْه.

وَمنْ جديدٍ ضَحكَ الملكُ وَقَالَ مُوَجِّهًا حَدِيثه إِلىَ الطَّائرِ الصَّغِير.. ضَاحِكًا..

- أنتَ لَا تريدُ ذهبًا وَلاَ مُجَوْهرات .. أىَّ تاجٍ إِذَنْ تُرِيدُ؟

تنبَّهَ الهُدْهدُ إلىَ أَنَّه قَدْ وَقَعَ فِى خَطأٍ كبيرٍ، وَأَنه مِنَ الضَّرورى أَنْ يكونَ أَكْثر وُضوحًا، وقَالَ..

– مَوْلاَى، إنَّ كل مَا أطلبُه تاجًا صَغيرًا، بَسِيطًا، مِنَ الرِّيش.

– الرِّيش؟

بدأتِ القاعةُ تَضجُّ بالضحكِ العَالى، والهُدْهد يُوَاصل:

– نَعَمْ، مِنَ الرِّيشِ، بحيثُ يتناسَبُ مَعَ لونِ الرِّيشِ الأَبيضِ والأَسْودِ الذِى يُغطى جِسْمِى، وَكَأَنَّهُ مِعْطفٌ ثَمِين.. هَذَا هوَ كُلُّ مَا أتمنَّاه، لاَ أكْثر.. وَالحقيقةُ أَنَّنى فِى الوَاقِع لاَ أُريدهُ وَلاَ أرغبُ فِيِه.. لكنَّ فَتَاتى هِىَ الَّتِى تودُّ أَنْ يَعْلُوَ فوقَ رأسِى، وَإلاَّ فَإنَّهَا لَنْ تقبلَ الزَّوَاجَ بى..

أغلقَ الهدْهُدُ عينيْه، أحنى رَأْسَه، لحظةً قصيرةً والجميعُ يُتَابعُونه بِكثيرٍ مِنَ الدَّهْشة.

وبدأ الهُدْهدُ فِى البكاءِ، ارتفعَ صوتُ نَحِيبه حتَّى أصبحَ بكاءً عَاليًا، سَمِعَهُ كلُّ مَنْ فِى القَاعَةِ..

٧

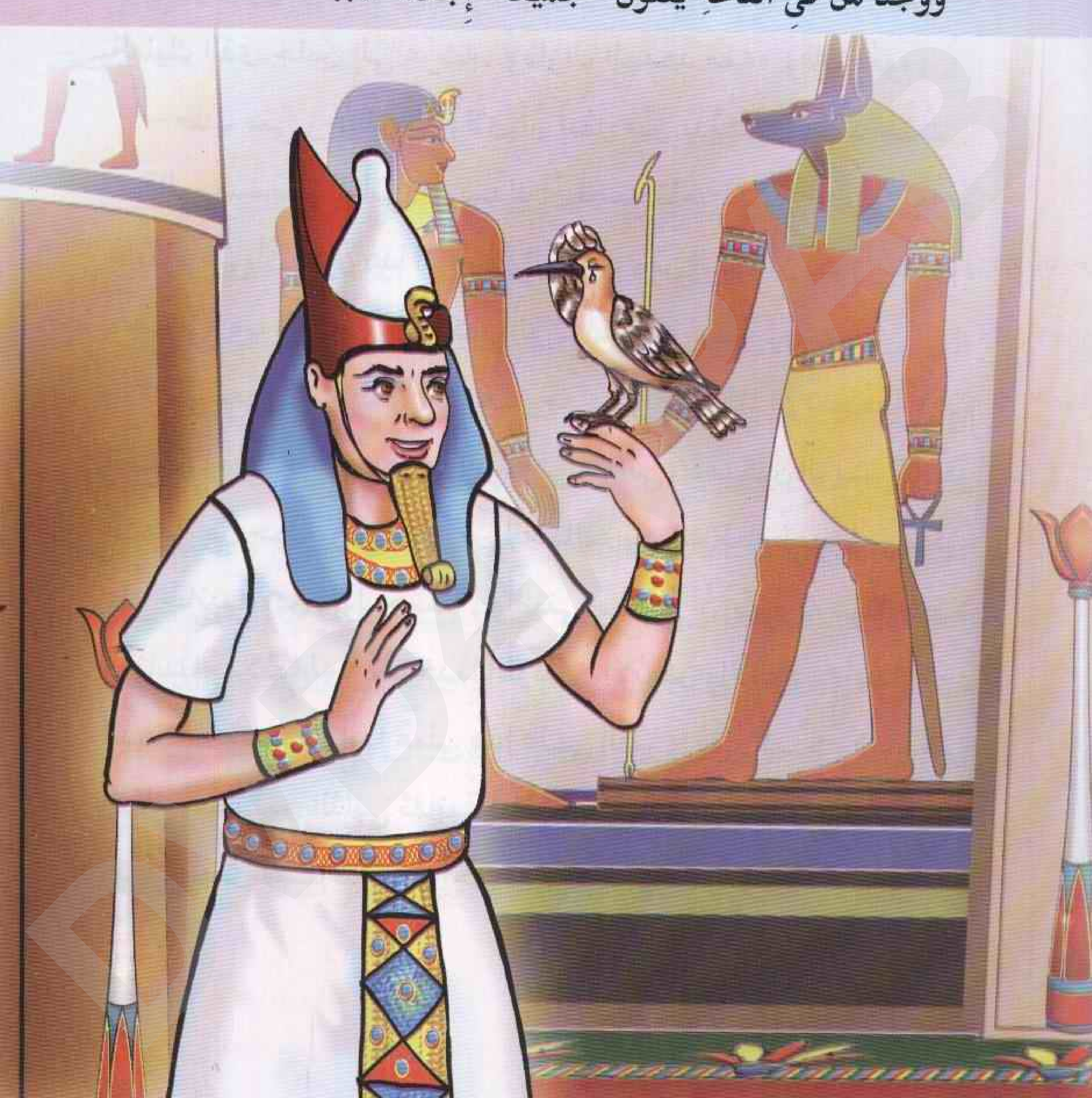
وَجدَ الملكُ نَفْسَه مُضْطرًا لأَنْ يُولِى هَذَا «الحبّ» اهتمامَهُ وَرِعَايته.. إنَّ الملوك وَإنْ كانوا –غالبًا– قُساةَ القلُوب إلاَّ إنَّهم فى لحظَة يَحْنُون رُؤُوسَهم إلَى هَذه العَاطفة الرَّائعةِ النَّبيلَةِ، وَمَا مِنْ سبيلٍ أمَامَهم غير أَنْ يُعْطُوهُ مَا هُوَ لائقٌ بِه، حَتَّى لَوْ كانَ مَا بينَ طائريْن صَغيريْن، أَخْرَقيْنِ، تريدُ المحبُوبةُ أَنْ يكُونَ عَلَى رأسِ الحبيبِ: تاجٌ، مَلَكى.. الطَّريفُ وَالغريبُ حقًّا أَنَّ الذِى يحدُثُ فى أيَّامنَا، الآنَ، هُوَ أَنَّ العروسَ هِىَ التِى تضعُ عَلَى رأْسِهَا تاجًا مُرَصَّعًا بمَا يَتلأْلأُ وَيُضِيئ..

وَتَزينَة الأَزَاهيرُ والورُودُ .. وربمَا عقودُ الفلِّ واليَاسَمينُ.

وراحَ رمسـيِسُ الثانى يديرُ الأمرَ فِى رَأسِـه، هُوَ قَدْ أمرَ بأَنْ يُحقّقَ للْهدْهدِ مَا طَلَبة، وأَنْ يَصنعَ لَهُ عَلَى رَأْسِه تاجًا.

وفجأَةً، وَقفَ الفرعونُ، وجعلَ الهدهدَ يقفُ مِنْ فوقِ إصْبَعه السَّبَّابة، وَرفعَهُ إلىَ أعْلَى..

ووجَدَ مَنْ فىِ القاعةِ يقفُونَ -جميعًا- إجْلاَلًا لَه..



قالَ فِرْعَوْن :

– بأَمْـرِ فِرْعون مِصْرَ، رمسـيس الثانى، ملكُ الوجْهيْـنِ: القبْلى والبَحْرِى، يُمْنحُ هَذَا الطَّائرُ الصَّغيرُ ذلِكَ التَّاجَ الَّذى طَلَبه.. أَقولُ بهذا باسْـم الإله: آمون رع .. وَلكُمْ جَميعًا الآنَ شـربُ عَصَائر فَاكهةِ أَرْضِ مِصْرَ تحيَّةً للعَرُوسْين.

وَتقـدَّمَ فِى هَذِه اللَّحْظةِ (نعوم رووشـا) كَبير صنَّـاع التيجَان تجاهَ المليكِ الَّذى جلسَ إلىَ عَرْشه، وَمَازالَ الهدْهدُ مَعَه، وقَالَ نعُوم:

– طلبَ مِنىِّ رِجَالُك يَا مَوْلاَى أَنْ أَمثل بَيْنَ يدَيْكُم، وَهَا قَدْ جِئْتُ..

قَالَ رمسـيس الثانى: أَريـدُكَ أَنْ تصنعَ تاجًا لهـذَا الطَّائِرِ العَزيز عَليْنَا، عَلَى أَنْ يكونَ هذا التاجُ مِنَ الرِّيش، وَمِنَ المهمِّ أَنْ يكونَ مُناسبًا، وجميلًا، ويروقُ لَهُ.. وأنْ تكونَ أَلوَانُه مُلائمةً لبقيَّةِ ريشِه..

قَـالَ نعوم: إنَّه طَائر لطيـفٌ وَجَذَّاب ويطيبُ لَنَا أَنْ تُسَـمِّيَةَ (قدم السعد)، وَأَظُنه أضخَم هُدْهدٍ رَأيْتُه فِى حَيَاتى، وَسيكون الريشُ الأصفرُ الذَّهبى مِنْ حولِ رَأسه غايَةً فِى الجمالِ، وهناكَ خطوطٌ بيضاءُ وسوداءُ عَلَى جَانبيهِ وَمِنْ حولِ جِسْمه، وَأَظُننى أَسْتطيعُ أَنْ أَصْنعَ لَهُ شيئًا جميلًا ومناسبًا وَمُلائمًا لَه، مُسْتخدمًا اللَّونيْنِ: الأَبْيَضَ والأَسْودَ، وأيضًا اللَّونَ الذَّهبى.. وسـوفَ أبدأ عَملى هَذَا عَلـى الفورِ.. بَقَى الهدْهدُ ضيفًا عَلَى الملكِ رمسـيس الثانى ثَمانية أيَّام كَانَ نعومُ خلالَهَـا يَقومُ بمهمَّتهِ، وبعثَ بعضَ مُسَـاعديه مِنْ أجْلِ أَنْ يَأْتوا لَهُ بريشٍ نَاعِمٍ: أبْيض وأسْود

وَذهبى.. عَلَى أنْ يكونَ ريشًا طويلًا، رشيقًا، وراحَ ينسِّقُ مَا بينَ هذا، وَيُضفى عليْه مِنْ فَنِّه مَا يجعلُ هَذَا التَّاجَ شيئًا يليقُ باسْمِه، وَبالطائرِ المحبُوبِ، ولا يسقطُ - قط - مِنْ فوقِ رَأْسِه.. وكَانَ الهدْهُدُ خلالَ هذِه الفترةِ يتجوَّلُ فِى الرمسيوم، فرحًا مُبْتهجًا، والحرسُ يأتونَ لَهُ بكلِّ مَالَذَّ وَطَابَ مِنْ طعام وَشَراب، وَهُوَ خِلَال جَوْلَاته، كانَ حريصًا عَلَى ألاَّ يقتربَ مِنَ المكانِ الَّذِى تُوجدُ فِيهِ «شيطانه»؛ لأنَّ صَوْتها وَهِىَ تزومُ مَازَالَ يرِنُّ فِى رَأْسِه.

٨

حدَثَتْ تغييراتٌ شَتَّى فِى «الرمسيوم» .. هِىَ إِلَى الأَفْضلِ وَالأَحْسَن «أبو كيورو» -رَئيسُ طَاقمِ العَاملينَ فِى القصرِ- بدأَ يتعامَلُ مَعَ العاملينَ فِى رقَّةٍ زَائِدَة، ولَمْ يعُدْ يستخدمُ قاموسَ شَتَائِمه والَّتى يُوجهها إلِيْهم، وأَصْبحت هناكَ كلماتٌ جَديدةٌ عَلى لِسَانِه.. مثل: مِنْ فَضْلِكْ، أَرْجُوك، شكرًا .. بجانبِ التحيَّاتِ الوَدُودَة: صَباح الخيرِ، مَسَاء الخيرِ، سَعدتُ بلقائِكَ .. وأيضًا حَدَث أن كان «ادنيم» كَبيرُ الطهاةِ، مَريضًا وبدأَ يَتعافَى بسُرْعةٍ، وَشُفى تمامًا خِلَال أيَّام، وكانَ حارسُ البوَّابة قَدْ أصابَ قدميْه جُرْحٌ، وأصبحَ غَيْرُ قادرٍ عَلَى السَّير، لكنَّ دَواءً جَافًا حُمِلَ إِليْهِ مِنْ مخازنِ الأَعشابِ فِى «أبو تيج» بدأَ يَأْتى بأثرٍ طَيِّب، وراحَ يخطُو وَيَسيرُ بشكْلٍ طَبيعىٍّ، وكَانَ الأَخوانِ «سمبال» يتشَاجران ويتنازَعَان طِوَال الوقتِ، ويصلُ الأَمْرُ بِهمَا إِلَى الشِّجَارِ

والقتـــالِ، وَفجْأةً كفَّـا تمامًا عَنْ ذلكَ، وسَـادت بينهمَا روحُ التعاوُن، وَجَرى أَحَدُهـم إلىَ نعوم فِى مكَانِ عَمله الَّذى لَمْ يكُنْ يُغادره، وَأَبْلغه هَـذا القادمُ أَنَّ ابْنَه الَّذى كانَ لا ينطِقُ وَلا يَسْـمع قَدْ بدأ يَبْرأ، وَأَصبح يتبادَلُ الكلامَ مَعَ أُمِّه، ويحسُـن الاستماعَ إليْهَا، وَيُنَفذُ مَا تأمُرُه بِهِ..

وكانَ الهدْهُـد خلالَ هَذَا كُلَّه يُرَاقب «نعوم» وَهُوَ يعملُ ويقومُ بصنَاعةِ التَّاجِ وهو يُدندِنُ وَيُغنى راضيًا وَسَعيدًا..

كانَ مِنَ الوَاضِح أنَّ الرمسـيوم قَدِ انتقَلَ إلَى حَالةٍ أُخرى، أشـبهُ مَا تكونُ بإِشْرَاقةِ الشمسِ بعدَ يومٍ طويلٍ مَطيرٍ وَذلكَ لقُدُوم الهدهُدِ إليْهِمْ، فهوَ بَشيرُ السَّعْد.

وَأخيرًا، أَخيرًا جدًّا، جَاءَ اليومُ الموْعُود..

سـوفَ يتمُّ تَتْويج الهدْهُد فِى قاعةِ العرشِ الكُبرى الخاصَّةِ بجلالَةِ الملكِ رمسـيس الثانى، فِرْعَون مصْرَ، فِى ذلكَ المسَاءِ.. وَقدْ وصلَ وَمَنْ حَوْله مِنَ الأُمراءِ، وَكبَارِ رِجَالِ الدَّوْلة، وَحَاشِيَته ووقَفَ مِنْ وَرَائهِ قادَةُ جَيْشِه، وَضبَّاطِهِ العِظَام.. وَإلىَ جانبِ كُلِّ هَؤُلاءِ، كانَ هناكَ المصارعُونَ، والموُسيقيُّونَ، والرَّاقِصُون، لِيحْيُوا الحفلَ كَمَا أَمَرَ المَلِكُ..

وكانتْ «شـيطانه» كَالمعتَاد تربضُ تحتَ أقـدَامِ الفرعَوْنَ فِى صمتٍ وسُكونٍ وَهُدُوء..

ودخلَ الأَميرُ الابنُ الأكْبرُ لرمسـيس الثانى، وقَدْ وقفَ فوقَ أُصْبُعهِ السَّـبَّابة: الهدْهُدَ (هادى) .. وَ أنزلهُ فِى احْترامٍ شـديدٍ عندَ أَسْفلِ

الدُّرج المؤدِّى إلىَ المنصَّةِ التِى يجلسُ أبُوهُ فَوْقهاَ، عَلَى العرْشِ..

وَتطلّع الهُدْهُدُ إلى الملكِ، ثُمَّ الْتفتَ ليَرَى القاعَةَ وقدِ احْتشَـدَ فيهَا الحاضِـرُونَ الَّذِينَ قَدِمُوا ليشــهَدُوا حفلَ تَتْويجِهِ.. وَاعْتراهُ شــىءُ مِنَ القلَقِ وَالخَوْف..

وَقدِمَ فِى هذِه اللَّحْظةِ «نعوم رووشا» وَدلِفَ إلِىَ القَاعَةِ حاملًا صندوقًا مِــنَ الذهبِ الخَالِــص، يحتوى عَلَى التَّاجِ الجدِيدِ الَّذِى ســيُوضعُ عَلَى رأْس الهُدهُد.

صعدَ «نعوم» فِى خُطُواتٍ وَئيدَة الدُّرجَ الَّذِى يُؤدِّى إلِىَ العرْش وَانْحنَى أمامَ الملكِ رمسيس الثانى، ووضعَ بينَ يديْه التَّاج، بعدَ أَنْ أَخْرَجه مِنْ عُلْبَته.. وَأمســكَ الملكُ بالتَّاج، ووقفَ، وَمَا إنْ تنبَّهَ مَنْ بالقَاعةِ لهذَا، قَامُوا جميعًا تحيةً للمَلكِ، الــذِى تطلَّعَ فِى هُدُوء نحوَ الهدهدُ.. وَقالَ لهُ بلهْجةٍ مُرحِّبةٍ:

– تعَال:

كانَ الهدهُد فِى هَذِه اللَّحظةِ مُسْــتغرقًا فِــى التَّفْكير، وَكلُّ هَمِّهِ أَنْ يحصلَ عَلَى التَّاج، وَيَضَعَهُ عَلَى رَأْسِه، وَيطيرَ بِهِ إلِىَ فَتَاته، لِتَراه.

تقدَّمَ نعوم نَحْوَ الهُدهُدِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُساعدَه عَلَى ارْتقاءِ الدرج وصُولًا إلِىَ الفرعَوْنَ الَّذِى يقفُ فِى انتِظَاره، والجميعُ يَرْقُبونَ المشْهدَ، وَيتملُّونَ فِيه، والهدهُد يَشْــعر برعْب شَديدٍ، بسبَب هَذَا الحشْد الكَبير، الَّذِى تجَّمعَ في القَاعةِ تَشْجيعًا للهُدهُد، وَبدَأ يخْطُو فِى ثَباتٍ وَثِقةٍ مِنْ فوق

المنضدَةِ فِى اتجاهِ صَاحِب العَرْش..

وَالجميعُ مُبْتسمون، يتهَامَسُونَ: يَالَهُ مِنْ حفلٍ بَهيج!!

٩

رفعَ الملكُ رمسيسُ الثانِى التاجَ عاليًا، ليراهُ الحاضِرُونَ.. وَتطلَّعُوا إليْهِ فِى إعجابٍ شَدِيدٍ، بألوَانهِ البَدِيعَةِ: الأبْيَض، والأسوَدِ، والذَّهبىِّ، وَدقَّق الهُدْهد نَظَره فِيهِ.. وَحَانت اللَّحظةُ الَّتِى انتظرهَا الجميعُ: رمسيس الثانى يضعُ التَّاجَ فوقَ رأسِ الهُدْهد، وَلمْ يتمالكِ الحَاضرونَ أنفسَهُم، وَراحُوا يُصفِّقونَ، وَيهْتفُونَ مَعًا بِصوْتٍ دَوَّى فِى كلِّ أَرجَاءِ القاعَة:

- هدهد..هدهد..

ثُمَّ انْتظَمَ التَّصفيقُ، وَتناغَمَ مَعَ الهتافِ بصُورةٍ تِلْقائيَّةٍ غَايةً فِى الجَمالِ. وَسارعَ الموسيقيُّونَ يعزفُونَ مقطوعة مَلكيَّةً، صَاحَبت هَذا وَذَاكَ، وفِى تناسُقٍ تِلْقَائى فَرِيدٍ.. وظلَّ ذلكَ طِيلةَ الوَقتِ الَّذى كانَ فيهِ رمسيس الثانى يضعُ التَّاجَ فوق رأسِ الهدهُدِ فِى حِرْصٍ بَالغ، وَهوَ يقفُ فِى ثباتٍ لَمْ يتعوَّدْهُ مِنْ قبل..

وَكانَ نعوم يرقبُ الموقفَ وَقَدْ تجمَّدتْ أَطْرافُه، وَشعرَ بِبُرُودةٍ تسْرِى فِى جِسْمه، وَتسَارعَتْ دَقَّاتُ قَلْبه، ثمَّ فجْأةً جَحَظَت عَيْنَاهُ، وَهُوَ يَرى التَّاجَ يميلُ مِنْ فوقِ رأسِ الهُدْهُد، ناحيةَ اليمينِ، وحاولَ الهدْهُد أَنْ يُعدِّلَ مِنْ وَضْعِ رَأسِهِ، ومالَ إِلَى اليسَارِ، وَإذَا بالتَّاج يسقطُ مِنْ مَكَانِه،

ومعَ سقوطِ التَّاجِ سقطَ قلبُ نعوم إلَى قَدميْه ! !

وَراحَ الهُدهُد يلومُ نَفْسَه عَلَى مَا حدَثَ وَمَا جَرى.. وَهمسَ لِنَفْسهِ:

- كانَ يجـدُرُ بـى أنْ أظـلَّ وَاقفًا في مكَانِي، لكنَّنـي رَغبْتُ فِي أنْ أمشـى مُخْتالًا بِهِ، وَمعَ أوَّلِ خَطْوةٍ وَقعتِ الكَارثَةُ، تَحْتَ سَمْعِ وَبَصرِ الحاضِرينَ! نكَّسَ الهدْهُد رأَسَه فِي خجلٍ وَحزْنٍ.. والحقيقَةُ أَنَّ الَّذى حَدَث، وَلَمْ يتنبَّه لَهُ أحَدٌ أَنَّ رِيشةً طويلَةً مِنْ ريشِ التَّاجِ عَلِقتْ بأقْدامِه، مِمَّا جَعَله يَسْـقط.. وَكَادَ الحاضِرونَ أَنْ يَطْلقُوا ضَحِكَاتهم، غيرَ أنهم لَـمْ يفْعَلُوا عندمَا تطلَّعُوا إلَى الهُدهُد، مُنكِّسَ الرَّأسِ، حَزينًا، فَاكْتَفُوا بابتِسامةٍ، راحُوا يحاولُونَ إخفاءَهَا.. خَاصَّةً أَنَّ الملكَ رمسيس الثانى، أَبْدَى لونًا مِنَ الانزعَاجِ بسببَ مَا وَقَع، الأمرُ الَّذى ذهَبَ بسعَادَته أدراجَ الرِّياحِ، وَلَمْ يدْرِ مَاذَا يَفْعل، وَكثيرونَ بَادرُوا لِكَىْ يَلْتقطُوا التَّاج، وَكانَ أَسْـرَعهم إليْهِ صَانِعُه: نعوم.. وكانَ يرتجِفُ رُعبًا خِشْـيةَ أَنْ يُعاقبَهُ الملـكُ.. غَيْرَ أَنَّ الملكَ لَمْ يكنْ يُفكِّرُ فِيه، بَـل كَانَتْ لدْيه الرَّغبَةُ فى إنقاذِ الموْقـفِ، والجميعُ فى صمْتٍ، يترقَّبُونَ مَا هُوَ فَاعِل، وَمَا يمكنُ أَنْ يقـولَ، وَأغلبُهم تَوقَّعُوا مِنْه غضبةً عَارِمَةً، وَصرْخةً عَاليةً، بِصوْتهِ الرَّهيبِ، وَكأَنَّهُ الزَّئير..

الغَريبُ أَنَّ شـيئًا مِنْ هذَا القبيلِ، لَمْ يَحْدث.. ذلكَ أَنَّ الملكَ تذكَّرَ فِي هذهِ اللَّحظةِ العجوزَ السَّاحِرَةَ، الَّتى تعيشُ فِى غرفَةٍ تحتَ الأَرْضِ فِى الرمْسيُوم، وَهمسَ لنفْسِهِ:

- لَقَدْ أدَّى نعوم وَاجبَهُ عَلى أكمل وَجْه، وهُوَ لَمْ يُقصِّرْ فِى شىءٍ، ولكنَّ هذَا التَّاجَ لَنْ يَسْتقرَّ عَلَى رَأسِ الهدهدِ إلاَّ بشىْءٍ مِنَ السِّحْر، تستطيعُ العجوزُ أَنْ تقومَ بِهِ، وَأنَا الذى أَخْطَأْتُ؛ لِأنه كانَ مِنَ الضَّرورى أنْ أَسْتشيرهَا فِى الأَمْرِ .. ارتفعَ صوتُ رمسيس قليلًا، وقالَ للحرَّاسِ..

- اسْتدعُوا العجوزَ السَّاحِرَة، وَبناتِها السَّبع.. سَادَ الصَّمتُ فِى القَاعَة، وَبدَأَ نعوم مِنْ جَديدٍ يلتقِطُ أَنفَاسَه، وسارعَ الحراسُ يُلبُّونَ أَمرَ الملِكِ، وَجروا إلىَ الغرفِ التِى هِىَ تحتَ أَرْضِ القصْر.

تقدَّمَ نعوم فِى هدوءٍ، وَأعَادَ وضعَ التَّاجِ عَلَى المنضدَةِ وَربَتَ عَلَى الهدْهُد، ليشيعَ لديْهِ شيئًا مِنَ الطمأْنينَة، فَمَا كانَ مِنْه إلاَّ أَنْ لَوى عُنقَه، ودَسَّ رأسَهُ داخِلَ ريشِهِ، هربًا مِمَّا حَدَث، وخوفًا مِمَّا سوفَ يحْدُث .. ظنَّ المسكينُ أنَّهُ بِذَلك يختَفِى عَنْ أَنظَارِ الحَاضِرينَ، مَادَام هو لَنْ يرَاهُم..

لَقَدْ وقعَ يومهَا حدثٌ جللٌ، فِى حَقِّ الهُدهُد.

١٠

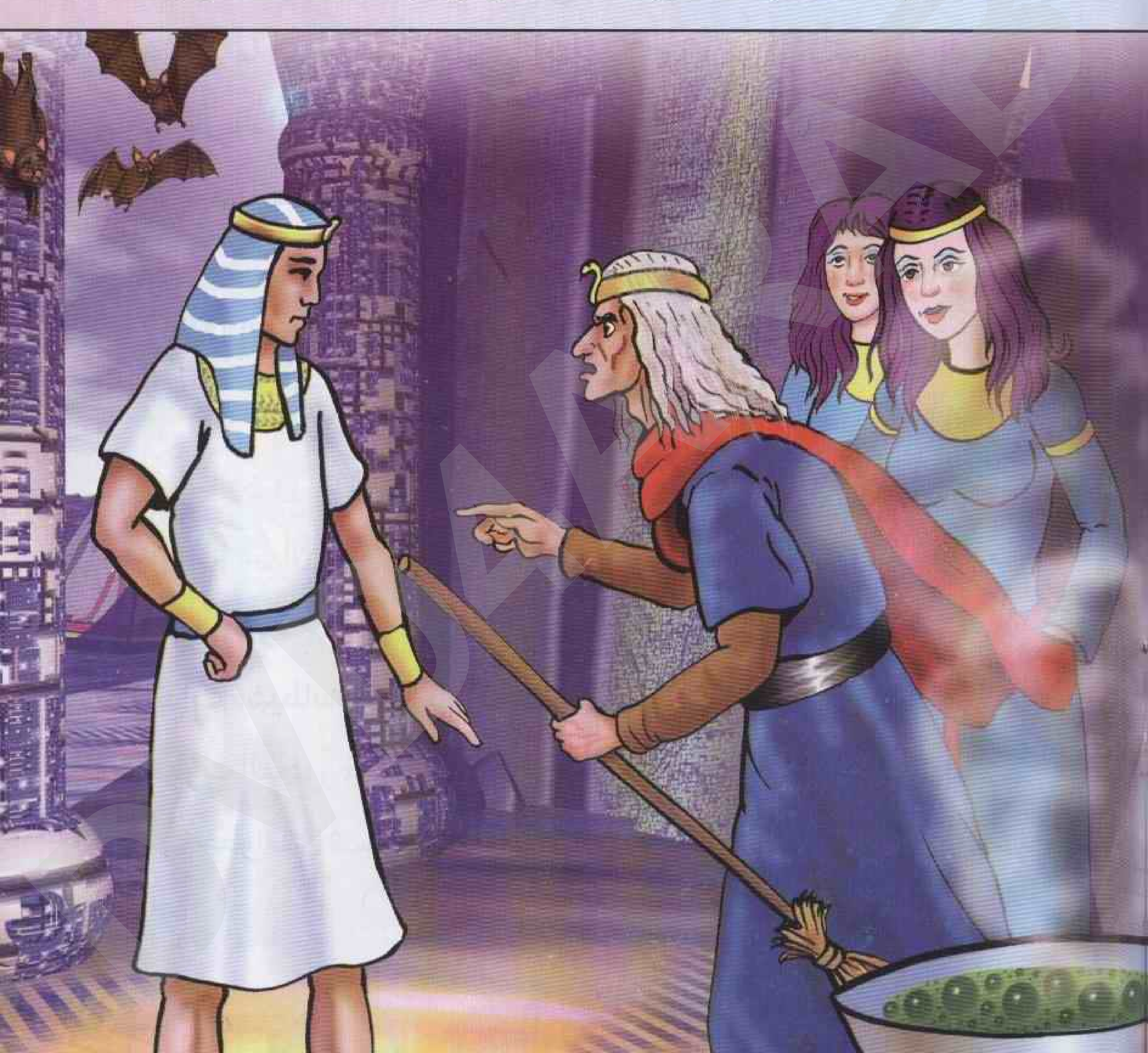
كانتِ العجوزُ السَّاحرةُ تعملُ فِى غُرفتِهَا، تحتَ الأَرضِ، ومعهَا البناتُ السَّبْع، عِندمَا جاءهَا رسولُ الملكِ، يَسْتَدْعيهَا إليْه، وَقلَّمَا يَفْعل ذلكَ إلاَّ حينَ تَضْطربُ الأُمُور.. وكانَ لديْهَا مَا يشغلُهَا فِى هذَا الوقتِ بالذَّات، وَهِىَ لاَ تَسْتطيعُ أَنْ تؤدِّى عملين فِى وقتٍ وَاحِد، كَمَا أَنَّهَا الآنَ مُنْشغلةٌ بموضُوعِ مَلكِ الجزُر السَّبْع، الَّذِى يُزعجُ فرعونَ مصرَ

رمسيس الثانى.

وهَا هُوَ رسولُ الملكِ يجئُ يحملُ إليهنَّ أمرًا جديدًا، مَا مِنْ وقتٍ لَدَيهم لتنْفيــذِهِ .. هُوَ يريدُهُنَّ أَنْ يُثبّتْــنَ التاجَ فوقَ رأْسِ الهُدهُد، فلاَ يميلُ وَلاَ يَسْقُط. بَلْ إِنَّ جلاَلَته يودُّ لَوْ أَنَّ التاجَ تمَّتْ زِراعتُه عَلَى رأْسهِ، وتساءَلَت العَجوزُ السَّاحِرةُ:

– مَا جَدْوَى هَذا فِى هَذَا الوقتِ الحرجِ الرَّاهِن؟

كانَ بودِّ السَّـيدةِ السَّاحرةِ أَنْ تعيدَ الرسولَ مِنْ حَيْثُ جَاء، وترفضَ



الانصيَاع لهذِه الأوَامر فِي وقتٍ تعمل فيهِ بهِمَّةٍ للقضاء عَلى مَلك الجزُرِ السَّـبْع، وتخليصِ البلادِ مِنْ مُحَاولاته العُدْوانيَّة، غيرَ أنَّهَا تعلمُ عِنْ يقينٍ أنَّ أوَامرَ رمسـيس الثانى لابدَّ أنْ تُحترم، وأنْ تَلْقى الاسْـتجَابَة الكاملةَ، لأنَّه أكْثرُ حِكمةً، وَأدرَى بشئُونِ البلادِ، والوَطَن.

وقالَتِ العجوزُ السَّاحرةُ للبناتِ ..

- فِي مَقدورِنَا أنْ نُرْجِئَ مَا نَقُومُ بهِ ضِدَّ ملكِ الجزرِ السَّبع إلىَ وقتٍ آخرَ، وربَّمَا يكونُ مَا عملنَاهُ قَدْ أتَى بنَتيجَةٍ لمْ تبلُغْنَا بعْد .. هَيَّا بنَا.. دَعُوا كُلَّ مَا فِي أيْديكنَّ، فليسَ أفضلَ ولَا أروعَ مِنْ أنْ نلْتقِى مَعَ العظيمِ رمسيس الثانى..

جمعَتِ الفتياتُ مَا يَحْتجنَ إليْه: ضِفْدعةً، وفأْرًا، وبعضَ عُيونِ طيورِ اللَّيْل، وَمَائة نملَةٍ، وأشـياءَ أُخْرى عَديدَة يعرفْنَ أنهنَّ سَيَسْتخدمنهَا فِـى هَذَا العَمَلِ الجديـدِ الفريدِ وَهُوَ تثبيتُ التـاجِ، وزرْعِةِ فوقَ رأسِ الهُدهُد.. تَمْتمتِ السَّـيدةُ العجوزُ ببعْـضِ كلمَاتِ التعاوِيذِ، وَرَدَّدتها الفتياتُ مِنْ وَرَائِهَا، وَأطلقـتْ العجُوزُ بخورًا حَادَّ الرَّائحةِ، وأخَذت حذْرَهَـا مِنْ أنْ يصلَ إلىَ قاعةِ العَـرْش، وَإلاَّ انْتَابتِ الجميعَ حَالةٌ مِنَ العَطْـسِ، وَضحكـتْ وَهِىَ تتصـوَّرُ القاعَةَ بكلِّ مَنْ فيهَا: يَعْطسُـونَ، وبالذَّاتِ «شيطانه» الرَّابطةِ تحتَ أقْدَام الفِرْعَوْن ...

سَارَتِ العجوزُ، وأمامَهَا رسُولُ الملكِ وَمِنْ خلفهَا السَّاحِرات السَّبع.. كانتْ خُطُواتهنَّ قَصيرَاتٌ وَئيدَاتٌ، إذْ لمْ يكنّ مُقْتنعَات بهذِه المُهمَّةِ ..

ويبدُو أَنها مُهِمَّة جَليلَةٌ، وَهنَّ لاَ يُطقْنَ عملاً فِيهِ الخَيْر، والهدُهدُ طائرٌ محبُوبٌ، وَهُنَّ يُفَضلْنَ الكراهيةَ، وَالبُغْضَ وَالمقْت!

١١

وصلَ موكبُ السَّيدةِ السَّاحرةِ العجوزِ إلىَ القَاعَة، والبناتُ تترنَّمْنَ بالتَّعاوِيذ.

عملتِ العجوزُ السَّاحرةُ



والفتياتُ كلَّ مَا فِى مَقْدُورهنَّ؛ لِكَىْ يَسْـتقرَّ التاجُ عَلَى رأسِ الهُدهُد، لكنَّهنَّ لَمْ تفلحْنَ، وفرعونُ يَرْقبهـنَّ، ويتمنَّى أَنْ تَنْجحْنَ فِى المهمَّةِ الَّتِى ندبهنَّ لَهَا، لكنَّ التَّاجَ ظَلَّ يتأَرْجحُ ويتراقصُ عَلَى رأْسِ الهُدهُد، وَأَيَادِى السَّاحِرَاتِ تمتدُّ لِكَىْ تَلْتَقطْنَ التَّاج.

دَبَّ المـرحُ والضحكُ بيـنَ الحاضِرينَ، وأَصْبَحـت اللُّعبةُ الجديدَةُ مَشَـاهدتهنَّ وهُنَّ يَلْتقطْنَ التاجَ قبلَ أَن يَسْـقطَ، ويتناثرَ رِيشُه، ويفْقد رَوْنَقَهُ وَجَماله ..

فجْـأةً، وكلُّ هذَا يحدثُ فـى القاعَةِ، وَإذا بريشـهٍ بيضَاءَ ناصِعَةٍ، تتهادَى، قادمةً مِنْ حيثُ لاَ أَحَدَ يَدْرِى، وتهبطُ عَابرةً سقفَ المكانِ، دونَ أن تُؤثرَ فِيهِ .. كانتِ الريشـةُ تَتَراقصُ، وتدورُ حولَ نفسِـهَا فِى حركَاتٍ إيقَاعيَّةٍ بالغَة الرَّشَاقةِ، والعذوبةِ، والجمالِ وَقَدْ جَذبت إليْهَا أَنظَارَ كلِّ الموجُودينَ، فغفلُوا عَنْ كل شيءٍ اللَّهُمَّ إلاَّ مُراقبتهَا والتطلُّعَ إليْهَا فِى دهشـةٍ وَذُهُول، وَقَدْ سـادَ صمتٌ عَمِيقٌ، وَمَا كَانَ أحدٌ يَسْمعُ غيرَ صَوْتها، وَهِىَ تشقُّ طَرِيقها فى هُدُوءٍ وَرَزَانةٍ..

- مَنْ أَلْقَى بهَا؟

- مِنْ أيْنَ أَتَتْ؟

- مَا الَّذى يمكنُ أَنْ تَفْعَلَه؟

كانَتْ هَذِه الأسْئَلة وَشَـبيهَاتِهَا تخطُرُ للحاضِريـنَ دُونَ أَنْ يَجِدُوا للإجَابَة عَنْهَا سَبِيلاً ..

كانَ وَاضحًا أَنَّ للريشَـةِ هدفًا تُريدُ أنْ تُحققَهُ، وَمكَانًا بالذَّات ترغَبُ فِى أَنْ تصلَ إليْهِ .. ووسـطَ هذا السُّكُونَ الشديدَ الَّذِى سادَ القاعةَ، نزَلَت الريشَـةُ البيضَاءُ الَّتى كَانَتْ تبدُو كأنَّمَا هِـىَ رَاقِصةُ بَالِيه .. لقدْ نزلتْ إلَـى الإنَاء البلُّورِىِّ الَّـذى تجرى فِيه السـاحِرَات عَملهُنَّ .. وارتفعَتْ أَيَادِهُنَّ عَنْه، لِكَىْ تأخذَ الريشَـةُ طريقَهَا إليْه، وسُرعَانَ مَا خرَجَ دخَانٌ رَقِيقٌ، مُعَطَّرُ الرائحةِ، ليَمْلأَ جنبَاتِ القاعةِ، وقالتِ السَّـاحِرةُ العجوزُ لِنفْسِهَا..

- لَا شكَّ أَنَّ هناكَ قُوَى أُخْرى تفوقُ مَا لدينَا، هِىَ الَّتِى بَعَثتْ بهَذِهِ الرِّيشةِ المذْهِلَة..

تبادلَتِ السَّـاحراتُ النَّظَراتِ، وقَدْ أُسْقطَ فِى أَيَادِهِنَّ وَشعرْنَ بأنَّهن فَاشِـلَات، فهَذِهِ الرِّيشَـةُ البيضَاءُ قدِ انتزُعتْ مِنْ صَـدْرِ فتاةِ الهُدْهد (هادى)، وَهِىَ تعبُرُ الفضَاءَ مِنْ فوقِ قَصْر الرمسيوم، لتخترقَ السَّقفَ، وتنزِلَ إلى الإنَاءِ البلُّورِى مُبَاشرة، الأَمرُ الَّذى أذْهلَ الجميعَ، وهمسَتِ العجوزُ السَّاحرةُ:

- هَذِه ريشَـةٌ بيضَاء تأتِى عَنْ طريقِ السِّـحرِ الأَبْيَض، الذِى يصنعُ الخَيْرَ، وَسِـحْرنَا الأسـوَدُ غيرُ قَادرٍ عَلَى مُواجهتهِ وَالتَّصدِّى لَهُ.. إِنَّ مفْعُولَه أَقْوَى بكثيرٍ مِنْ سِحْرنَا ..

ذَلكَ هُوَ «سحرُ الحُبِّ»

تلفَّتَتِ السَّـاحرةُ العجوزُ فِى أرجَاءِ القاعةِ، تريدُ أَنْ تَرَى الهدْهُد، وأذهلهَا أنَّهُ اختفى تمامًا، ولَمْ تدرِ إلَى أيْنَ مَضَى، وكانَ تحت سَمْعهَا وبصَرِهَـا طِيلةَ الوَقت .. إنَّهُ بطَلُ هَذِه اللَّحْظَـةِ، وَهَذَا المكانُ، كيف يُغادِرهُ دُونَ أنْ يَسْـتأذِنَ مِنَ الملكِ الفرعَوْن، الذِى أحَاطَهُ بكلِّ الرِّعَايةِ وَالعنايةِ الملكيَّة..

وَفجأةً، ظهرَتْ فِى القاعَةِ مِئاتُ الحُوريَّات البيض، يُرفرفْنَ كأنهنَّ فَراشَات، رَقِيقات، ناعِمَات، قدمْن مُخْترقَات جدرانَ القاعةِ وَسقفَهَا، فِى تشـكيلاَتٍ بَالِغةِ الرَّوْعةِ، فارتَفعَـتْ رؤُوسُ كلُّ مَنْ بالقَاعةِ، بمَنْ فِيهمْ رمسـيس الثانى وَرَاحَ الجميعُ يُتَابعونَ المشهدَ الفَرِيد، الَّذِى لَمْ يحـدُثْ مِنْ قبلُ فـى أىِّ مكانٍ مِنَ العَالم .. فقـط حَظيَتْ بِهِ القاعةُ فِى هَذِه السَّـاعةِ، وقدِ اسْـتمرَّ هَذَا العرضُ بعضَ الوقتِ والـكلُّ يَرْقُبونَه فِى ذهُولٍ، وَقدْ أَضْفَت الأَضْوَاءُ عَليْه مزيدًا مِنَ السِّـحرِ وَالجلاَلِ، كَمَا صَاحَبتها ظلاَلٌ رَقِيقةٌ شَفَّافَةٌ ظَهرَتْ عَلى سقفِ القَاعَةَ وَالعُيُون تدورُ، لاَ تريدُ أن تَفُوتَهَا لمحَةٌ وَاحِدَةٌ مِمَّا يَجْرِى وَيحدُثُ..

بدأَتِ الحُوريَّاتُ الصغَّيراتُ الرَّقيقاتُ الجميلاتُ بعدَ أداءِ هذَا العرضِ الشَّيِّق في الهبُوطِ، وَوَقفَتْ مِنْ فوقِ رُؤُوس السَّاحرةِ العَجُوز، وَبناتها السَّبْع، لِتشـلَّ حـركَاتهنَّ، كَما مَلأنَ المنضَدةَ الموضوعَةَ أمامَ المليكِ، كلُّ هَذَا دون أنْ يكونَ هناكَ صوتُ وَاحِدٌ، فالجميعُ قَدْ بَهرهمْ مَا يجْرِى



وَيحدُثُ، فسَكنتِ الحركَاتُ، وَسَكتَتِ الأفوَاهُ، وسادَ هدوءٌ غَرِيب، حَتى رَفرفَاتُ أَجْنحةِ الحوريَّات لَمْ يُسمع لَهَا صَوْت..

كَانت الحوريَّاتُ تحطْنَ بالهدْهُدِ، وَلاَ يكادُ يظهرُ مِنْ وسَطهنَّ وَهُنَّ يقمْنَ بحِمَايته، فمَا مِنْ إنسَانٍ يُمْكن أنْ يصلَ إليْهِ وَلَا رمسيس الثانى نفسُهُ، كمَا أنَّ السحرَ الأسودَ لاَ يستطيعُ أنْ يمسَّهُ وَتَاجَه بِأىِّ سُوءٍ .. وانبعثَتْ مُوسيقَى رَقِيقةٌ حَالمة، لكىْ يكْتمِلَ هذَا المْشهَد، الذِى لَمْ تعرفْهُ الإنسَانيّةُ مِنْ قَبْل. وَربمَا تكونُ قدِ اسْتوحتْ مِنْهُ فنَّ

البَالية، قَامـتِ الحوريَّاتُ بالدورِ المطْلوب، والمهَّمةِ السَّـامِيَةِ الَّتِى عَهدت السَّمَاءُ إليْهنَّ بِهَا، وأدَّينهاَ عَلَى خيْرِ وَجْه.. ثُمَّ بدأنَ يُرفرفْنَ منْ جديدٍ فِى سمَاءِ المكَان، وهنَّ يَعبسْنَ فى وجهِ السَّاحرَات، وَيُصوبْنَ إليهـنَّ نظراتٍ فيهَا الكثيرُ مِـنَ الازْدِرَاء.. مَا عـادَ يليقُ بأهْل مصرَ المتحضرِّيـنَ أنْ يُصدِّقُوا أوْ يقبلُوا أعمَالهنَّ الهَزِيلة، توارتْ السَّيدةُ العجوزُ السَّاحرةُ، وَبَنَاتُهَا، وَلاَ يدرى أحدُ إلَى أيْنَ؟!.

مَـا عَادتِ الحوريَّاتُ فـِى قَلَقٍ عَلَى الهُدْهُد، وَتَاجِـه..إنَّهُنَّ عَلَى يَقينٍ مِنْ أنَّه سيضعُ التاجَ عَلَى رأسِه، ويلْتصِقُ بِه، وكأنَما نبتَ مِنْها، وَظهر مِنْ فَوْقه، كَمَا تظهرُ زهرةُ النيلُوفر عَلَى أعوادِ البردِى، وزهرةُ عبَّاد الشمسِ وَقدِ اتجهتْ بِكلهَا نحوَ الشمسِ، وراحَتْ تدورُ مَعَهَا مِنَ الشرقِ إلى الغَرْب..

وَمَـا إنْ أتمَّ الهُدْهدُ غِنَاءَه، حتـَّى قَدِم نعوم مِنْ جَدِيد، حاملاً التَّاجَ الهُدْهُدى، الأنيقَ الجميلَ الزَّاهِى، البدِيع وَقدَّمه إلِىَ رمسيس الثانى فـِى إجـلاَلٍ وَاحْترام.. وَتهيَّـأَ الهُدْهدُ لِكَىْ يضعَ المليـكُ التاجَ عَلَى رَأْسـه، وسَادَ الهدوءُ والسـكونُ، ولَمْ يتحركِ الهُدْهدُ، أَوْ يتقَافَزْ، بَل بقَى فِى مَكَانِه..

وقـفَ كلُّ مَنْ بالقَاعـةِ، لاَ يتحركُونَ، وَفجْأَةً شُـوهِدَ الهُدْهُد وَهُوَ يُغَـادر مَكَانه، طَائِرًا، طَائِفًـا بالقَاعَة، مِنْ فـوقِ رُؤُوسِ الوَاقفينَ فِى انتِظَـارِ لحظَةِ وَضْعِ التَّاج عَلَى رَأْسِـه، كانَ الهُدهُد يجوبُ القَاعَةَ فى سعادَةٍ غَامِرَةٍ، كَأنَّمَا يُودِّعُ أيَّامَهُ التِى عَاشَهَا بدُونِ تَاجٍ عَلَى رَأْسِه.. ثُمَّ

سُرعان مَا عَادَ ليقفَ -صَاغِرًا- أمام الملك رمسيس الثانى، الَّذِى حَمَلَ التَّاجَ، وَوَضعَه حيثُ يجبُ أَنْ يكونَ، وتقدَّمَ نعوم لمساعدةِ رمسيس الثانى، ليعَدِّلَ مِنْ وضعِ التَّاجِ، ليستقرَّ فى مكَانِهِ تمامًا..

سَارَ الهدهُد مِنْ فوقِ المنضدَةِ فى خطوَاتٍ ثَابتةٍ .. وراحَ يحركُ رأسَه، يُمْنةً وَيُسْرَى، كانَ وَاضحًا أنَّهُ يمشِى «ملكًا» وقدِ اشْرَأبَّ عُنقُهُ وَطَال، وشمخَتْ رأسُهُ ومنْ فوقهَا التَّاج.

ودوَّتِ القاعةُ بِالتَّصْفِيق الحَادِّ المتوَاصِلِ، رَدَّدتِ الجدرَانُ صَدَاه ..

كانَ واضحًا أَنَّ التاجَ لَنْ يَسْقُط، بَلْ سَيبْقَى حيثُ هُوَ ، حتىَّ لَوْ حُرِّكَ مِنْ فوقِ رأسِه، ورَفرَفَ بجَنَاحيْه، وَهَبَطت الحوريَّاتُ بأجْنحتهَا البَيْضَاءِ الرَّقِيقة، وَأحْطن بِه، ووقفْنَ يرفرفْنَ، ليرَطبْنَ الهواءَ مِنْ حَوْلِه.. وطارَ الهدهدُ مِنْ وَسطهنَّ، وَراحَ يعلُو ويعلُو، ويحلِّقُ حَتَّى اصطدمَ تاجُه وَرأسُه بسقفِ القاعةِ وَذُعر الحَاضرونَ، وَأَغلقُوا عُيونَهُم لأنَّهُم ظنُّوا أَنَّ الصَّدمَةَ يمكنُ أَنْ توقعَ بالتَّاج، أوْ تحطِّمَه .. لكنَّهُم عندمَا فَتَحوا أعْيُنهم وَجدُوا أَنَّ التاجَ فِى مَكَانه، وحيثُ هُوَ بَلِ ازداد التِصَاقًا برأْسِه، حَتَّى لقدْ أصْبحَ قطعةً مِنْه.. لا تنفصِلُ عَنْه، ولا تَنْفَصِمُ مِنْهُ.. وَارْتفعَ التصْفيقُ عاليًا مِنْ جَدِيد ..

هَا هُوَ الهُدهُد قدِ امْتلكَ تاجًا .. وَأَخيرًا تَمَّ تَتْوِيجهُ، وَتساءَلتْ كلُّ المخلُوقَاتِ..

- تراهُ أصْبحَ مَلِكًا ؟!.



١٣

فــِي ذَلك الصَّبَاح، الذِى ضَلَّ فيهِ الفرعَوْن رمسيس الثانِى طَرِيقَة، خلَالَ رحلةِ الصَّيْد، اتجهتْ فتـاةُ الهدْهُد (هادى) إلِىَ مكانٍ تجتمعُ فيهِ الطُّيور، حيثُ اختارُوا غصْنًا مَمْشُوقًا، هُوَ فرعٌ لشـجرةٍ ضَخْمة وَارفَةِ الظِّلالِ، تفرشُـها عَلَـى مُرُوجٍ خَضْرَاء، تغطِّى شَـطَّ نهر النيِّل الجميـل، ووَقَفَت ترقُبُ الطيورَ العَابِرَة، وَمِنْ وَرائهَا صفحَةُ السَّماءِ الزَّرْقَاءِ الصَّافيةِ.. هِىَ لِاَ تدْرِى لماذَا استيْقظتْ فِى ذلكَ الصَّباح بَاسمةً

ضاحِكةً، مُحيِّيةً كلَّ منْ يمرُّ بهَا، وتتطلَّعُ باحثةً عَنْ هُدهُدهَا (هادى) .. هُوَ لَمْ يكنْ فِى مكانِ اللقاء، وَتَساءَلت:

- أَيْنَ هُوَ الآن؟ لماذَا لمْ يصلْ حتىَّ هذِه السَّــاعة؟ مَا الَّذِى مَنَعه مِنَ الحُضُورِ؟ تراهُ غاضِبًا، وَقرَّر ألاَّ يأْتِى؟!

راحَتْ تلعبُ مَعَ رَفِيقاتِهَا، وَصَدِيقاتِهَا، وطالَ الوقتُ إِلىَ أَنْ شَعَرت بالتَّعَــب، فَمَا كانَ مِنْهَا إلاَّ أَنْ عَادت إِلَى أُمِّهَا، وَعُشَــها، وَهِىَ تحسُّ أَنَّ قَلْبهَــا حَزِين .. وَقربَ الغُروب عَادَت مرَّةً أُخرى إِلىَ مَكانِ التجمُّع غيرَ أنهَا لَمْ تجدْهُ .. هُوِ لَمْ يَعُدْ بَعْد .. رَاحَت تلومُ نفسَــهَا، وَشعَرت أَنَّهَا قدْ أَخْطأتْ فِى حَقِّهِ، وَمَا كانَ لهَا أَنْ تَطلُبَ مِنْهُ هذَا الشــىءَ الَّذى لَــنْ يقدرَ قَطْ عَلَى الحصُــولِ عليْه .. كيفَ يُمْكــن أَنْ يَتملَّكه؟ مَاذَا فِى استِطَاعَتِه أمامَ هذَا الطلبِ المعْجز المزْعِج؟

وَهمَستْ لنفسهَا فِى حزنٍ وَأَسَى:

- كمْ كنتُ غَبيَّةً، بلْ فِى مُنْتهى الغَبَاء..

ورجعَــتْ إِلىَ العُش دَامِعَةَ العيْنيْنِ، وَإِنْ حَاوَلت أَنْ تُخْفى دُمُوعَهَا عَنْ أمها، وَدسَّت رأسَهَا فِى ريش صدرِهَا قربَ قلبهَا وراحَت فى نوم قَلِقٍ، رَاحتْ تســتيقظُ مِنْهُ عَلَى أَحْلَام، لمْ تكــنْ قط جَمِيلة.. وَفِى كلِّ صحوةٍ تخطرُ لَهَا فكرةٌ جَديدَةٌ تزيدُهَا أَلَمًا.

- مَالى مِثل الصَّغار، غَاليْتُ فِيمَا أَطْلُب، إِلىَ حدِّ أَنَّه أَصْبحَ مِنْ غير المُمْكنِ أَنَّ أَحْصلَ عَلى شىءٍ، عَلَى الإِطْلَاق ..

وتكرَّرَ تردُّدهَا صَباح مَساء عَلَى «مُنتدَى الطُّيور» وَمَا عادَ (هادى)، وَمَـا مِـنْ طائرٍ وَاحدٍ يعرفُ لَهُ مكانًا، أَوْ سـمعَ عنْهُ خبـرًا، فقدْ كانَ طيلةَ هَذِه المدَّةِ مِنْ سَـاكنى الرمسيوم ..وبدأَ ذلكَ يُغْضِبهَا، ويجعلُهَا عَصَبَّية، حَادَّةَ المزَاجِ، تردُّ عَلَى الجميعِ بلَهْجةٍ جَافَّةٍ، وَبِسـببِ ذلكَ غادروهَا وتركُوهَا وَحِيدةً بدونِ رَفيقٍ أَوْ صَدِيق..

قَـلَّ نومُهَا، وطعَامُهَـا، وَأصْبحتِ رَافِضَةً لكلِّ شـىءٍ، الأَمْرُ الَّذِى جعلَهَـا مَرِيضَةً مُتْعبَةً، غَيْـر قادرَةٍ عَلَى أَنْ تَخْطُـو عَلَى قدميْهَا، أوْ تحرِّكُ جَنَاحيْهَا.. وخطرَ ببالهَا شيءٌ أَزْعجهَا أَيَّمَا إِزْعَاج:

- لاَ بُدَّ أن صقرًا أَوْ نَسْـرا انقضَّ عليْه وَاخْتَطَفه لقْمَة سَائغةً ووجْبةً دَسِمةً. إنهَا لَنْ تراهُ بعدَ اليَوْم..

وبكتْ .. وبكتْ ..إِلَى حدٍّ أَنها لَمْ تعدْ قَادرةً على البُكَاء .. وَأصبحتْ غيرُ قادةٍ عَلى الوصُولِ إلَى عُشِّـهَا، أَعْلَى الشجرةِ فَاتَّخذتْ مِنَ المروجِ الخضراءِ عَلَىَ ضفَّةِ النيلِ عُشًّا، وفراشًا لَهَا تقضِى فيهِ لَيَاليهَا الحزينَة، بَائسةً يائسةً وَصحَت ذاتَ صَبَاح وَضِىءٍ دافِئ، وتلفَّتتْ حَوْلها، وَألقتْ بنظرةٍ إلىَ النِّيل.. إنَّ المياهَ تجْرِى فِى نهرِنَا الخالدِ، غَيْرَ أَنَّ تلكَ التِى رَأيتها بالأَمسِ ليسَـتْ هَىَ مَا أَرَاهُ اليَوْم .. إِنَّهَا تَتَدَفَّقُ وتجرِى وتنشطُ مِثل أبنَاءِ النِّيلِ الذينَ يعملُونَ فِى حيويّةٍ ونشَاطٍ.. كيفَ لَمْ يخطرْ فِى بالِى أَنْ أذهَبَ وَأَبحثَ عَنه ؟

شَـرِبتْ بعضَ قطرَاتِ النَّدَى، وتناوَلَتْ إفطَارًا شعرتْ معهُ أنها قدْ

تَعافَتْ وَأَصبحتْ لديْهَا القُدْرةُ أَنْ تَطِيرَ.

١٤

طَارتْ هُدهُده الجميلةُ، ناحيــةَ الجنوبِ، إِلَىَ الصَّعيدِ لتبحثَ عَنْ (هــادى) أكبرَ هُدْهد عَلَى ضفافِ النيِّل، وَصَلتْ إِلىَ إسـنَا، ثُمَّ إِدْفو، وَكَانــت تَسْـتريحُ عَلَى بعضِ الشَّـجَرِ بينَ كلِّ وقتٍ وَآخر، وتشـربُ قطراتٍ منْ ماءِ النيلِ، وتلتقطُ بعضَ حبّاتِ القَمْح، ثُمَّ تواصلُ الطيرَانَ، إِلىَ أنْ وصَلَت إِلىَ أسوَانَ وهناكَ قضَتْ لَيْلتهَا، غَيْرَ أنهاَ لَمْ تعثرْ عليْهِ وَهمسَت لنفِسهَا..

- لاَ أظنُّ ذهبَ بعيدًا فِى سفَرِهِ إلى هذَا الحدِّ.. والحرُّ -هنَا- شَدِيدٌ، وَعلــيَّ أَنْ أَعُودَ.. ربمَا يكونُ قَدْ رجعَ خــلالَ غَيْبتِى هذِهِ الَّتيِ طَالت..

لكنَّ (هادى) فِى الحقيقةِ لَمْ يكنْ قدْ عَادَ بَعْد ...

وَطَارتْ بمحَاذَاة النهرِ، وكانتْ بَيْنَ حِينٍ وَآخرَ تتوقَّفُ عِنْدَ وَاحدةٍ مِنَ الأشجارِ، لتلتقطَ أنفاسَــها، وَقدْ تُغمضُ عَينيْهَا قليلاً، وتروحُ فِى نوم عَميق..

وَكانــتِ الحُوريّاتُ الرَّقيقَاتُ الجميلاتُ يحطْنَ بهَا دُونَ أَنْ تراهنَّ، وقدْ ظللْنَ يحمينهَا على طولِ الطَّرِيق، ولمْ تعرِفْ ذلكَ .. وقدِ اسْتيقظَتْ ذاتَ مرَّةٍ، وهىَ تشعُرُ بوَجَع فى صدْرهَا، لَمْ تعرفْ لهَ سَبَبًا.. وَكَانَت واحــدةٌ مِنَ الحوريَّاتِ قدِ انْتزعَتْ ريشَــةً بيضَاءَ مِــنْ مَكَانها، حيثُ أحسّتْ بالأَلمِ.

فَفَتحتْ عيْنيهَا، وَتلفَّتتْ لِتَرى مَا حوْلَها، واستعدَّتْ للطَّيرانِ مِنْ جَديدٍ، ولمْ تَرَ شيئًا، فقدْ سَارعتْ الحوريَّةُ الَّتِى انتزعَتِ الرِّيشَة، وَوضعتْهَا فِى عُلبَةٍ صَغيرةٍ عَملتها حُوريَّةٌ أُخرى، وَانْطلقتْ بِهَا نحوَ الرمسيوم .. هناكَ فى قلبِ الصَّحراءِ، حيثُ رَفرفَت مِنْ فوقِ قاعةِ العرشِ ثمَّ فتحتِ العُلبَةَ وَأسْقَطتِ الرِّيشَةَ، لتنفذَ مِنْ فتحةٍ انفرجَتْ مِنْ أجلهَا، وتهادَت الرِّيشَةُ، وعَادتِ الفتحةُ لتغلقَ سَريعًا، بينَما نزلتِ الرِّيشةُ داخلَ الإناءِ البلُورىِّ الذِى كَانُوا يعدُّونَ فِيه الوصفةَ السِّحريَّةَ الخاصَّة بوضعِ التَّاجِ عَلَى رأسِ الهُدْهد، مُسْتقرًّا عليْه لا يسقُطُ أبدًا..

تنهَّدَت هُدْهُده، وَوقفتْ علىَ قدمٍ وَاحدَةٍ، ووضَعَت الأُخرى عَلَى مكانِ الألَم، وَسَألتْ نفسَها:

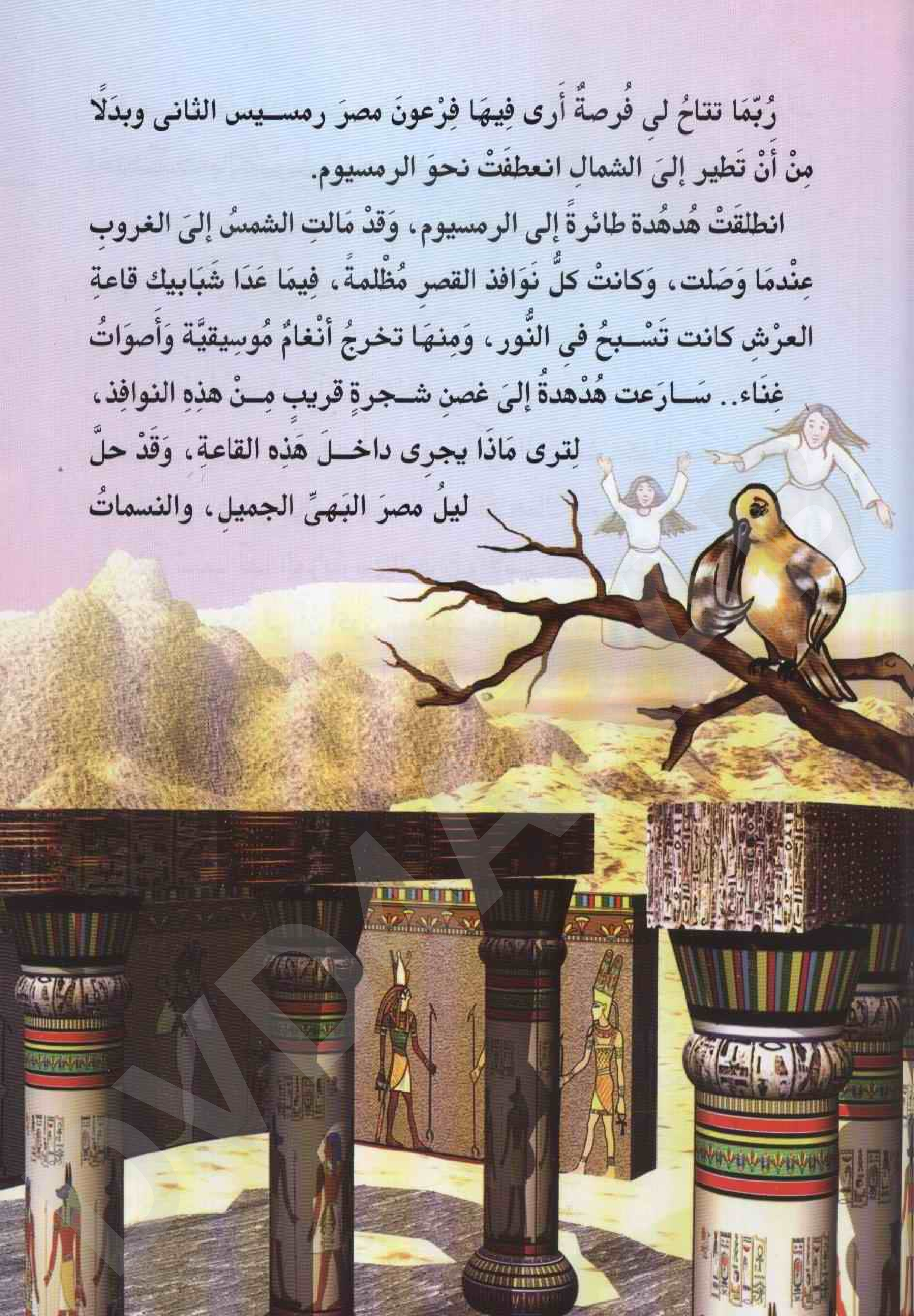
- مَاذَا جَرى لى أثناءَ النّوم؟! لستُ أَدرِى لماذَا أُحس أَنَّ هذاَ المكانَ غيرُ آمن، وَعَلىَّ أَنْ أطيرَ عائدَةً إلىَ أُمِّى ؟!

أَعادت قدمَهَا إلىَ حيثُ كَانَتْ، وَأَصْبحت تقفُ مُتَزِنةً عَلَى قدميْهَا معًا، وحرّكتْ جناحيْهَا لتغادِرَ المكَانَ فِى اللّحظةِ الَّتِى خطَرت فِى بالهَا فِكْرةٌ..

- لاَ لاَ .. لايجبُ أَنْ أعودَ إلىَ أُمىِّ مُباشرةً، إنَّنِى فيمَا يَبْدُو قرِيبَة مِنَ الرمسيوم، لماذَا لاَ أمرُّ بِهِ وَأُلقى عليْهِ نَظرةً كما فَعلتُ فِى رِحْلتِى السَّابِقة؟

رُبَّمَا تتاحُ لِي فُرصةٌ أَرى فِيهَا فِرْعونَ مصرَ رمسـيس الثانى وبدَلًا مِنْ أَنْ تَطير إِلىَ الشمالِ انعطفَتْ نحوَ الرمسيوم.

انطلقَتْ هُدهُدة طائرةً إلى الرمسيوم، وَقدْ مَالتِ الشمسُ إلىَ الغروبِ عِنْدمَا وَصلت، وَكانتْ كلُّ نَوافذ القصرِ مُظْلمةً، فِيمَا عَدا شَبَابيك قاعةِ العرْشِ كانت تَسْبحُ فِي النُّور، وَمِنهَا تخرجُ أنْغامٌ مُوسِيقيَّة وَأَصوَاتُ غِنَاء.. سَارَعت هُدْهدةُ إلىَ غصنِ شجرةٍ قريب مِنْ هذِهِ النوافِذ، لِترى مَاذَا يجرِى داخلَ هَذِه القاعةِ، وَقَدْ حلَّ ليلُ مصرَ البَهىِّ الجميلِ، والنسماتُ



الرقيقـةُ تهبُّ لتداعِـبَ وَجْهها وَريشـهَا الأنَيـقَ..رأتِ القاعةُ وَقدِ احْتشـدَت بالكَثيرينَ ولمحَتِ الرَّاقصَاتِ والرَاقصِيـنَ ولمحَت الأولاَدَ يحملُونَ فى أيْديهم المصَابيحَ، والفَوَانيسَ..

وَفجْأةً سَكت كُلُّ شىءٍ!!

(١٥)

تَسَاءلتْ هُدْهدةُ فِيمَا بينهَا وبينَ نَفْسها: مَاذَا جَرى؟ لكنَّ الأُغْنياتِ عَادَت مِنْ جديدٍ، وأصوَات أُناسٍ يتبادَلُونَ الحديثَ، كما ارتفَعَت بعضُ الضحكَاتِ، هُنَا وهُنَاكَ.. بعدَ ذلكَ كانتْ هناكَ صيحَاتُ فرحٍ وَبْهجةٍ.. كلُّ ذلكَ سبَّبَ لَهَا المزيدَ مِنَ الحزنِ وَالأَسىَ، وهمسَت..

– كيفَ يمكنُ لى أَنْ أكونَ سَعِيدة، مثلَ هُؤلاءِ، وليسَ مَعِى هُدْهدى الحبيب؟ .. لاَ رغبَةَ لى فِى أَنْ أَرَى تاجًا، وَلاَ أريدُ أىَّ شـىءٍ .. خيرٌ لِى أَنْ أُعُودَ إلىَ أُمِّى وَعُشىِّ ..

وَطارَتْ راجعَةً إلى شـطِّ النيلِ، متجهـةً مَعَه إلىَ الشمالِ وبينَ وقتٍ وَآخـرَ، عندمَا يمْسِـى عليهَا اللَّيْـلُ، كانت تَقْضيهِ نائمـةً بينَ المروجِ الخضراءِ عَلَى حافةِ النَّهر، وَمعَ الصَّبَاح تُعاوِدُ الطَّيرانَ مِنْ جَديدٍ، هَاهِىَ الآنَ وَحيدةً، شَريدةً، تجوبُ صَعِيدَ مِصْرَ، دونَ أَنْ تَعْثرَ لَهُ عَلَى أثَر..

– تُرَى، أَينْ أنتَ الآنَ يَا هُدْهدِى الجَمِيل؟

كانَ الهُدْهـدُ فِى تلـكَ اللَّحظةِ مـازالَ فِى القَاعةِ، يحـومُ ويحلِّقُ وَيرَفرِف، والكلُّ يَحيُّونَه.

وَاقتْربَ الطَّائرُ مِنْ أُذُنِ مولاَهُ الملكُ، كانَ يهمِسُ بكلماتٍ لَمْ يسمعْهَا أَحَد، لكنَّ رمسيس الثانى فهِمَ مَا يُريدُه، وَمَا يقْصدُه، وَهبَّتْ نسماتٌ حُلْوهٌ معَطرةٌ مَلأت جَنبَاتَ الرمسيوم، لاَ أحدَ يدْرى مِنْ أيْنَ جَاءت غيرَ أَنَّ الهدْهُد وَحْده هُوَ الَّذى أَدرَك سِرَّهَا: لَقد أَقبلتِ الحُوريَّاتُ تُرفرفنَ بأجْنحتهنَّ الرَّقيقَـة البيضَاء، مُحْدِثةً هَذا الهـوَاءَ الرَّقيقَ الناعمَ فِى فَضَاءِ القاعةِ .. لَقَدْ جئْنَ لِكَىْ يَصْحبْنَ الهُدْهد فِى رِحْلتِهِ إلىَ الشـمالِ وحَدَّقَـت عيونُ الحاضِريـنَ فِى الهُدْهد وَهُوَ يحلِّقُ عاليًا فِى السَّـمَاء، وارتفَعَت الأَيْدِى مُلَوِّحَةً لَهُ هاتفةً مِنَ أعمَاقِ قُلُوبِهَا:

- مَعَ السَّلاَمة .. مَعَ ألفِ سَلاَمَةٍ!!

(١٦)

عَبَـرَ الهُدْهد الصحراءَ فِـى اتجاهِ النِّيلِ، مُرفرفًـا مُحلِّقًا، وَمِنْ حَوْله الحوريَّاتُ، وَمَا مِنْ أحدٍ اسْتطاعَ أَنْ يَرَاهنَ، بسببِ شفَافِيتهن .. ووصَلَ الموْكـبُ إلىَ النَّهْرِ الَّذى كانَ يَبْدُو كخـطٍّ أَزْرَقَ يَخْترِقُ لَوحةً خضراءَ سُنْدُسـيَّة، وَقَدْ بَدَأتِ الشمسُ تتَسـلَّق أرضَ مصرَ عندَ الأُفُقِ الشَّرْقى، الَّذى كانَ يشعُّ بلَوْنٍ أَحمرَ بهيج، وراحَ يتحوَّلُ روَيْدًا رويدًا إِلىَ اللَّون الأصفرِ الذَّهَبىِّ الرقيقِ، ثم اتَّشَحَت السماءُ بردَاءِ أزرقَ صَافٍ، وهناكَ عَلَى الأرضِ وسـطَ المرُوجِ الخضْراءِ، كانتْ هُدهُده مَازَالت تتقلَّبُ فِى نوم قَلَق، وَمَا كانتْ تَدْرى شَـيْئًا عَنْ هَذَا الموكِب السَّماوىّ الَّذى يحلِّقُ وَيطيـرُ مِنْ فوقهَا .. لكنهَا فَتَحتْ عينيْهَا فِـى تثاقُلٍ، وَرَفَعتهمَا إلىَ

السَّـماء، وَرَأت على صَفْحتها الزرقاءِ مَالمْ تصدِّقْ نفسهَا مَعه، وَظنّت أَنّها فِى حُلْم، جَاءهَا لشدّة رَغبْتها فِى أَنْ يتحقّق هَذا: لقدْ رَأَتْ أجْمل هُدْهد على أَرضِ مصْرَ، وَفِى سمائِهَا، يُحلق وَعلَى رَأسِه التاج البَالغ الرَّوعةِ والبهَاءِ..

رَاحَتْ تفتحُ عيْنيْهَا وَتُغْلقهما، وتعاوَدُ النَّظر إلى السَّـماءِ، وَهبَّت نسمةٌ حرَّكتِ الزُّهورَ والورُودَ، وَشمَّت عطرَهَا، سَاعَتها فقَطْ فاقَتْ مِنْ حُلْمِهَـا وَأدركتْ أنَّ مَا تراهُ حقيقةً وَاقِعـةً، إنها لاَ تحلُم، إنَّهَا ترى فتاهَا العزِيزَ الحبيبَ، تحفُّ به الحُوريَّاتُ مَنْ كُلِّ جَانِب.

وَراحت هُدْهدُه تنفُضُ عَنْها آثارَ نومِهَا، وتهزُّ نفسَهَا لتَنْثُر مَا تجمَّعَ فوقَ رِيشـهَا مِنْ قطرَاتِ النّدَى الصَّباحيَّـةِ، وَرَاحتْ تحرِّكُ جَناحيْهَا وَكَانـتْ هَدهُده تحدَّق فِى طائرِهَا الحبيـبِ وَهىَ لاَ تُصدِّقُ عَيْنيهَا إنَّه فعلاً يَضعُ تاجًا عَلَى رَأْسِه.. يبدُو واضِحًا شَامخًا عَلَى صفحةِ السَّماء، بَلْ ربمَا انعكسَتْ صُورَتُه عَلَى صَفْحةِ النِّيلِ..

ويقـولُ التّارِيخُ أيضًا إنَّه مُنْذُ هَـذِه اللَّحظةِ وَإلى اليومِ يضعُ الهُدْهد تَاجَه عَلَى رأْسِه، يزْدَهِى بِهِ بَيْنَ كلِّ الطُّيور.

وَهُناكَ، فِى السَّماءِ كانَ اللّقَاء.. صعدتْ هُدهُدهُ مُرفرفةً بالسَّعادَة، وَفِى لحظةِ اللِّقَاءِ السَّـعيد ناشدَ الهُدْهُد الحوريَّات أَنْ يخلعْنَ التَّاجَ عَنْ رَأسِه لتأخذَهُ هُدْهُدة..

وهنَا حَدَثت مُعْجزَةٌ.. إنَّ نعوم لَمْ يفتْهُ أَنْ يجعلَ مِنَ التاجِ تاجيْنِ،



مِنْ فوقِ بَعْضهمَا ، وعندمَا أخذَت الحوريَّاتُ التاجَ مِنْ فوقِ رَأسـهِ ظهرَ أَنَّ هنَاكَ آخَر بَقَى فِى مَكَانه ..

وَضَعَت الحوريَّاتُ التاجَ عَلَى رأْسِ العرُوسِ..

وَصـارَ ذلكَ تقليـدًا عَالمِيًّا ، فِى كلِّ حفلاَتِ الـزَّوَاج نَرى مِنْ يومهَا تاجًـا يُحَلىِّ جَبينَ العروسِ مِنْ بَنِى البشـرِ ، تذكيرًا لَنَا بمَا حَدَثَ فى الرمسيوم وتخليدًا لَهُ..